يسألون النبى صلى الله عليه وسلم

عن

- المحيض.
- الجبال.
- الساعة.
- ماذا ينفقون ؟
- الخمر والميسر.
- الأنفال.
- ذى القرنين.
- ماذا أحل لهم ؟
- الأهلة.
- الروح.
- الشهر الحرام.
- اليتامى.

تأليف
عبد العزيز الشناوى

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر



فهرس الكتاب

* * *

قال عبد الله بن عباس :

– ما رأيت قوما خيراً من أصحاب محمد – ﷺ – ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة كلهن فى القرآن :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ، يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ، يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ، يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ، يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ، يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ، يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ، وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ ، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ..

ما كانوا يأسلون إلا عما ينفعهم .

يسألونك عن الساعة

كان شأن أهل مكة كشأن سائر قبائل العرب يتمسحون بأصنام الآلهة التماسا للرزق والعافية في الدنيا وما كان محراب ربهم في أغوار نفوسهم بل كان حجراً يحملونه معهم إذا خرجوا أو يلتقطونه من هنا أو من هناك ومن سفاهة أحلامهم تعصبوا لتلك الحجارة التي لم يكن لها عليهم سلطان . وكانوا لا يؤمنون ببعث ولا حساب .

ولما بعث الله محمداً - ﷺ - بشيراً ونذيراً هبوا في وجه دعوته **كالزوبعة ورموه بالكذب والسحر والجنون ولما رأى سادات قريش أن أناسا قد تركوا** دين آبائهم وتبعوا رسول الله - ﷺ - أخذوا يجادلون رسول الله - ﷺ - ويطلبون منه الإتيان بالخوارق ويسألونه عن أشياء كثيرة .. وسألوه في استهزاء :

- يامحمد متى تكون الساعة ؟

ثم قالوا :

- فيم أنت من ذكراها ؟

ولم يزل مشركو مكة يسألون حتى نزل قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا** ﴾[1] أي قيامها . والساعة أي يوم القيامة ويوم القيامة له أسماء كثيرة تعظيماً لشأنه قال رسول الله - ﷺ - :

- « **من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[2] و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾[3] و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشقت ﴾[4] وسميت يوم القيامة لقربها فإن كل آت قريب أو تنبيها على مافيها من الكائنات العظام** » فسور التكوير والانفطار والانشقاق أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها وتكور شمسها وانكدار نجومها وتناثر كواكبها إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو

---

(١) الأعراف : ١٨٧ . (٢) التكوير : ١ . (٣) الانفطار : ١ . (٤) الانشقاق : ١ .

قصورهم بعد نشر صحفهم وقراءة كتبهم وأخذها بأيمانهم وشمائلهم أو من وراء ظهورهم .

ويوم القيامة قال تعالى : ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِيَوم القيامَةِ** ﴾[1] وسميت بذلك :

١ – إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العظام دما .

٢ – لقيام الخلق من قبورهم إليها ﴿ **يَوْمَ يَخْرُجونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا** ﴾[2].

٣ – لقيام الناس لرب العالمين قال رسول الله – ﷺ – : « **يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم يقوم أحدكم فى رشحه إلى نصف أذنيه** ».

٤ – لقيام الروح والملائكة صفا : ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوح وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا** ﴾[3].

وكل ميت مات فقد قامت قيامته ولكنها قيامة صغرى وكبرى فالصغرى هى ما يقوم على كل إنسان فى خاصته من خروج روحه وفراق أهله وإنقطاع سعيه وحصوله على عمله إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر والقيامة الكبرى هى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة . سأل قوم من الأعراب رسول – ﷺ –:

– متى القيامة ؟

فنظر إلى أحدث إنسان منهم وقال – ﷺ – :

– « **إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم** ».

قال الشاعر :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى   غداة أقيل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصبروا   خروجى وتعجيلى إليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط سيرتى   غداة أتى يومى على وساعتى

ويوم القيامة هو يوم الدين ﴿ **وما أَدْرَاكَ مَا يَوم الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدين** ﴾[4] لأن ذلك اليوم وما بعده يوم واليوم العظيم متضمن هذه الأيام فهو لله يوم وللخلائق أيام فقد عرفت أيامهم فى يومه وقد بطل الليل والنهار :

---

(١) القيامة : ١ . (٢) المعارج : ٤٣ . (٣) النبأ : ٣٨ . (٤) الأنفطار : ١٧ – ١٨ .

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
اذكورت شمس النهار وأدنيت ... حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من فوخها ... ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الجبال نقلت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت ... خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت ... وتقول للأملاك أين نسير
وإذا تقاة المسلمين تزوجت ... من حور عين زانهن شعور
وإذا الموؤدة سئلت عن شأنها ... وبأى ذنب قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السماء بيمينه ... طى السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت ... تبدى لنا يوم القصاص أمور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت ... وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها ... ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ... فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية ... كيف المصر على الذنوب دهور

ومنها يوم الساعة قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَالَبِثُوا غَيْرَ ساعةٍ** ﴾[1]، ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾[2]، ﴿ **وَيَوْمَ تقوم السَاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفرقُونَ** ﴾[3]، ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أدخلوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[4] وهو فى القرآن كثير والساعة كلمة تعبر عن جزء من الزمان غير محدود وفى العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءا من يوم وليلة . وسميت الساعة لسعى الأرواح إلى الأجساد فى تلك الساعة ومنها يوم النفخة : قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا** ﴾[5]، ﴿ **يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُون أَفْوَاجًا** ﴾[6].

---

(١) الروم : ٥٥ . (٢) الروم : ١٢ . (٣) الروم : ١٤ .
(٤) غافر : ٤٦ . (٥) طه : ١٠٢ . (٦) النبأ : ١٨ .

سئل رسول الله - ﷺ - عن الصور فقال :

- « **قرن ينفخ فيه** » - قرن عظيم الدائرة منه بقدر السموات والأرض ينفخ فيه إسرافيل - عليه السلام -.

قال رجل من اليهود كان في سوق مدينة رسول الله - ﷺ -:

- والذى اصطفى موسى على البشر .

فرفع رجل من الأنصار يده ولطمه وقال له :

- تقول هذا وفينا رسول الله - ﷺ - ؟

فلما بلغ ذلك رسول الله - ﷺ - قال :

- « **قال الله عز وجل : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فى الأرض إلا ما شاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[1] فأكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله** » .

وقال أبو القاسم - ﷺ - :

- « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له** » .

فقال الصحابة :

- يارسول الله كيف نقول ؟

قال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « **قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا** » .

ويوم ينفخ فى الصور يحشر المجرمون زرق العيون من شدة العطش والأهوال وكانت العرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه وقيل زرقا أى عميا .

ومنها يوم الزلزلة ويوم الرجفة : قال تعالى : **﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾**[2].

قال عبد الله بن عباس :

- **﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾** النفختان الأولى والثانية .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه** » .

---

(1) الزمر : ٦٨ .　　(2) النازعات : ٦ ، ٧ .

فقال رجل :

– يارسول الله أرأيت ان جعلت صلاتى كلها عليك ؟

فقال نبى الرحمة – ﷺ –:

– « **إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك** » .

ومنها يوم **الناقور** : قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ** ﴾[1] أى الصور وهو على هيئة القرن .

ومنها **القارعة** : فهى تسمى بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها .

ومنها يوم **البعث** : قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمَ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ** ﴾[2] وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيخبرهم بالذى صنعوا من خير وشر ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا . فيوم البعث وحقيقته اثارة الشىء عن خفاء وتحريكه عن سكون .

ومنها يوم **النشور** : وهو يوم الاحياء يقال : قد أنشر الله الموتى فنشروا أى أحياهم الله فحيوا يقول تعالى : ﴿ **وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا** ﴾ أى نحييها وقد يكون معناه التفريق من ذلك قولك أمرهم نشر . قال تعالى : ﴿ **وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ** ﴾[3] فإذا أراد العلى القدير أن يحيى الموتى أنزل من تحت العرش مطرايعم الأرض جميعا فتنبت الأجساد فى قبورها كما تنبت الحبة فى الأرض .. قال رسول الله – ﷺ – :

– « **كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب** » .

سأل أبو رزين العقيلى رسول الله – ﷺ –:

–يانبى الله كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك فى خلقه ؟

قال الصادق المصدوق – ﷺ –:

– « **يأبا رزين أما مررت بوادى قومك – أهلك – ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا ؟** »

قال أبو رزين العقيلى :

– بلى يارسول الله .

---

(١) المدثر : ٨ . (٢) المجادلة : ٦ . (٣) فاطر : ٩ .

قال النبى - ﷺ -:

- « **فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه** » .

ومنها يوم **الخروج** : قال تعالى : « **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا** ﴾[1] يوم يخرجون من القبور فأوله الخروج من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب فينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون وآخره خروج المؤمنين من النار .

ومنها يوم **الحشر** : وهو عبارة عن الجمع والحشر حشران فى الدنيا وحشران فى الآخرة .

أما الذى فى الدنيا فقوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ** ﴾[2].

وكان الله عز وجل قد كتب على اليهود الجلاء فلولا ذلك لعذبهم فى الدنيا وكان أول حشر حشروا فى الدنيا لما قدم رسول الله - ﷺ - يثرب هادن اليهود وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقض يهود بنى النضير العهد الذى كان بينهم وبين النبى - عليه الصلاة والسلام - فأحل الله بهم بأسه الذى لا مرد له وأنزل عليهم قضاءه االذى لا يصد فقال لهم رسول الله - ﷺ - :

- « **أخرجوا** ».

فقالوا :

- إلى أين ؟

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **إلى أرض المحشر** » .

فأجلاهم النبى - ﷺ - وأخرجهم من حصونهم الحصينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالى الشام وهى أرض المحشر والمنشر ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر .

قال رسول الله - ﷺ - :

- « **يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين وإثنان على بعير وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث**

(١) المعارج : ٤٣ . (٢) الحشر : ٢ .

قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا » .

فالحشر **الثانى** نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل منهم من تخلف .. وهذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها .

أما الحشر **الثالث** فهو حشرهم إلى الموقف قال تعالى : ﴿ **وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** ﴾[1].

والرابع حشرهم إلى الجنة والنار قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا** ﴾[2] أى إلى الجنة .

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيب ريح فيقول : هل تعرفنى ؟ فيقول : لا إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك فيقول : كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا اركبنى اليوم وتلا ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ وإن الكافر يستقبله عمله فى أقبح صورة وأنتن ريح فيقول : هل تعرفنى ؟ فيقول : لا إلا أن الله قبح صورتك وأنتن ريحك فيقول : كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السيء طالما ركبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك وتلا ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِم ﴾[3] »** .

لما نزل قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا** ﴾ قال أبو الحسن :

- يارسول الله إنى رأيت الملوك ووفودهم فلم أر وفداً إلا راكبا فما وفد الله ؟

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« أما انهم لا يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم ينظر الخلائق إلى مثلها رحالها الذهب وزمامها الزبرجد فيركبونها حتى يقرعوا باب الجنة »** .

وقال رسول الله - ﷺ -:

- **« ياعلى إذا كان المنصرف من بين يدى الله تعالى تلقت الملائكة**

(١) الكهف : ٤٧ . (٢) مريم : ٨٥ . (٣) الأنعام : ٣١ .

المؤمنين بنوق بيض رحالها وأزمتها الذهب على كل مركب حلة لا تسويها الدنيا فيلبس كل مؤمن حلة ثم تسير بهم مراكبهم فتهوى بهم النوق حتى تنتهى بهم إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[1]» .

وسمى المتقون وفدا لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه فهم لا يتباطئون . فهم يجدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات **﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾**[2].

أما المشركون فيحشرون إلى جهنم ويساقون إلى النار **﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾**[3] أى عطاشا وقال تعالى : **﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾**[4] وقال : **﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾**[5] لما سمع رجل هذه الآية سأل رسول الله - ﷺ -:

- يارسول الله : الذين يحشرون على وجوههم أيحشرون الكافر على وجهه ؟

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **أليس الذى أمشاه على الرجلين قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟** » .

ومنها يوم **العرض** : قال تعالى : **﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَاتَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾**[6].

وقال : **﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾**[7].. سأل ناس رسول الله - ﷺ -:

- يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟** » .

---

(١) الزمر : ٧٣ . (٢) الأنبياء : ١٠٣ .
(٣) مريم : ٨٦ . (٤) الإسراء : ٩٧ . (٥) الفرقان : ٣٤ .
(٦) الحاقة : ١٨ . (٧) الكهف : ٤٨ .

قالوا :
– لا يارسول الله .
قال – عليه الصلاة والسلام –:
– « **ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم : ماكنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير بن الله فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا ياربنا فأسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رؤوه فيها قال : فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد ؟ قالوا : ياربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر مما كنا اليوم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً . نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً . نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم .. فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلم سلم . وأما طول هذا اليوم ووقوف الخلائق فيه** » .. يقول رسول الله – ﷺ – :
– « **فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** » .

فقال أبو سعيد الخدرى
- ما أطول هذا .
فقال النبى - ﷺ -:
- « **والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا** .

ومنها يوم **الجمع** : قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ** ﴾[1] وقال : ﴿ **لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حديثاً** ﴾[2]، ﴿ **لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾[3].

ومنها يوم **التفرق** : قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ** ﴾[4]، ﴿ **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾[5].

ومنها يوم **الصدع** : ويوم الصدر قال تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا** ﴾[6].

ومنها يوم **البعثرة** : ومعناه تتبع الشىء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى الأجسام من التراب والكافرين من المؤمنين والمنافقين ثم يخلص المؤمنين من المنافقين .. قال - ﷺ - :
- « **إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد** » .
وقال :
- « **أنه يخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم** » .
وقال - ﷺ -:
- « **يؤخذ برجال ذات الشمال فأقول : يارب أصحابى فيقول : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك** » .

ومنها يوم **الفزع** : قال تعالى : ﴿ **لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنْتُمْ توعدونَ** ﴾[7] الذين لا يحزنهم أهوال يوم القيامة والبعث ووقت يؤمر العباد إلى النار وإذا أطبقت النار على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار .. قال رسول الله - ﷺ -:

---

(١) التغابن : ٩ .　(٢) النساء : ٨٧ .　(٣) الأنعام : ١٢ .
(٤) الروم : ١٤ .　(٥) الشورى : ٧ .　(٦) الزلزلة : ٦ .
(٧) الأنبياء : ١٠٣ .

- « **ثلاثة يوم القيامة فى كثيب من المسك الأذفر ولا يحزنهم الفزع الأكبر : رجل أم قوما محتسبا وهم له راضون ورجل أذن لقوم محتسبا ورجل ابتلى برق فى الدنيا فلم يشغله عن طاعة مولاه حتى عفا عنه** » .

ومنها يوم **التناد** : قال تعالى : ﴿ **وَيَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ** ﴾[1] أى يوم القيامة وسمى يوم التناد لمناداة الناس بعضهم بعضا فينادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم وينادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿ **أَنْ قد وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا** ﴾[2] وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة ﴿ **أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ** ﴾[3].

ومنها يوم **الدعاء** : وهو النداء أيضا والنداء له وجوه منها :

١ - نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع .

٢ - نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة .

٣ - يدعى كل أناس بامامهم لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ويقال : بكتابهم وقيل : نبيهم فتدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائهم فيقال : ياأمة موسى ياأمة عيسى ياأمة محمد .

٤ - نداء الملك ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن فلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا .

٥ - النداء عند ذبح الموت ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار خلود فلا موت .

٦ - نداء أهل النار ياحسرتنا ويا ويلتنا .

٧ - قول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين .

٨ - نداء الله تعالى أهل الجنة فيقول : « **ياأهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول : أعطيتكم أفضل من ذلك رضائى** » .

ومنها يوم الواقعة : قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عليهم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً**

(١) غافر : ٣٢ . (٢) الأعراف : ٤٤ . (٣) الأعراف : ٥٠ .

مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾[1] والمراد بالقول أخبار البارى عن الساعة وأنها قريبة ومن أعظم علاماتها الدابة .

ومنها **الخافضة الرافعة** : أى ترفع قوما فى الجنة وتخفض أخرى فى النار والخافض والرافع هو العلى القدير فرفع أولياءه فى أعلى الدرجات وجعل أعداءه فى أسفل الدركات ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۞ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا** ﴾[2].

ومنها **يوم الحساب** : ومعناه أن البارىء سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من احسان وإساءة يعدد عليهم نعمه قال رسول الله - ﷺ -:

- « **مامنكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان** » .

وقيل إن الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معا ولا يحاسبهم واحدا بعد واحد والمحاسبة حكم فلذلك تضاف الحكم إليه قال تعالى : ﴿ **أَلَا لَهُ الْحُكْمُ** ﴾[3] وقال : ﴿ **وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾[4].

وأنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له :

- « **ياشيخ ما أنصفت غذوتك بالنعم صغيرا فلما كبرتك عصيتنى أما إنى لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل** » .

وانه ليأتى بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضعضعت أركانه واصطكت ركبتاه فيقول الرب جل جلاله :

- « **أما استحييتنى ؟ أما راقبتنى ؟ أما خشيت نقمتى ؟ أما علمت أنى مطلع عليك ؟ خذوه إلى أمه الهاوية** »

وقيل إن الملائكة يحاسبون بأمر الله كما أن الحكام يحكمون بأمر الله تعالى وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5] وإن لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حسابا يسيرا من غير ترجمان إكراما لهم كما أكرم موسى - عليه السلام - فى الدنيا بالكليم ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة حسابا عسيرا وقال تعالى : ﴿ **مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾[6] أى كخلق نفس واحدة .

(1) النمل : ٨٢ . (2) مريم : ٨٥ ٨٦ . (3) الأنعام : ٦٢ .
(4) يوسف : ٨٠ . (5) آل عمران : ٧٧ . (6) لقمان : ٢٨ .

سأل رجل على بن أبى طالب :

– ياأبا الحسن كيف يحاسب الله عز وجل عباده ؟

قال أبو الحسن :

– كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة .

ومنها يوم **السؤال** : والبارى سبحانه وتعالى يسأل الخلق فى الدنيا والآخرة تقريرا لإقامة الحجة وإظهارا للحكمة قال تعالى : ﴿ **سَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ** ﴾[1]؟ وقال : ﴿ **واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ** ﴾[2] وقال : ﴿ **واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا** ﴾[3] وقال : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ** ﴾[4] وقال : ﴿ **فَوَرَبِّكَ** لَنَسْأَلَنَّهُمْ أجمعين * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[5].

وقال رسول الله – ﷺ –:

– « **ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع ومسؤول عليهم والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسؤولة عنه والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » .

فالإنسان مسؤول عن جوارحه قال تعالى : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾[6].

ومنها يوم **الشهادة** ويوم يقوم **الأشهاد** : والشهادة على أربعة أنواع :

١ – شهادة محمد وأمته تحقيقا لشهادة الرسل على قومها .

٢– شهادة الجوارح قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ** ﴾[7]، ﴿ **وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[8].

كان الصحابة جلوسا عند رسول الله – ﷺ – يوما فضحك فقال :

– « **هل تدرون مم أضحك ؟** » .

---

(١) البقرة : ٢١١ . (٢) الأعراف : ١٦٣ . (٣) الزخرف : ٤٥ .
(٤) التكوير : ٨ . (٥) الحجر : ٩٢ ، ٩٣ . (٦) الإسراء : ٣٦ .
(٧) النور : ٢٤ . (٨) فصلت : ٢١ .

قالوا :

- الله ورسوله أعلم .

قال - ﷺ -:

- « من مخاطبة العبد ربه يقول : يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال : بلى فيقول : فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدا منى يقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل » .

٣ - شهادة الأرض والأيام والليالى بما عمل فيها وعليها .

٤ - شهادة أركانه فتنطق بأعماله .

ومنها يوم الجدال : قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾(١) أى تخاصم وتحاج عن نفسها .

وجاء فى الخبر أن كل واحد يقول يوم القيامة :

- نفسى نفسى .

من شدة أهوال يوم القيامة سوى محمد - ﷺ - فإنه يسأل عن أمته .

قال الفاروق لكعب الأحبار :

- خوفنا هيجنا حدثنا نبهنا .

قال كعب الأحبار :

- ياأمير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأتت عليك تارات ولا يهمك إلا نفسك وإن لجهنم لزفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى منتخب إلا وقع جاثيا على ركبتيه حتى إن إبراهيم الخليل ليدلى بالخلة فيقول : « رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك اليوم إلا نفسى » .

فقال عمر بن الخطاب :

- ياكعب أين نجد ذلك فى كتاب الله تعالى ؟

قال كعب الأحبار :

- قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كل الأَنْفسُ بمَا عَمِلَتْ وَهُم لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

(١) النحل : ١١١ .

سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال :

– ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح : رب الروح منك أنت خلقته لم يكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها ولا أذن أسمع بها ولا عقل أعقل به حتى جئت فدخلت فى هذا الجسد فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى فيقول الجسد : رب أنت خلقتنى بيدك فكنت كالخشبة ليس لى يد أبطش بها ولا قدم أسعى بها ولا بصر أبصر به ولا سمع أسمع به فجاء هذا كشعاع الشمس فيه نطق لسانى وبه أبصر عينى وبه مشت رجلى وبه سمعت أذنى فضعف عليه العذاب ونجنى فيضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعد أدخلا بستانا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا ينالها فنادى المقعد للأعمى : ائتنى فاحملنى أكل وأطعمك فدنا منه فحمله فأصابا من الثمرة فعلى من يكون العذاب ؟ .

قالا : عليهما قال : عليكم جميعاً العذاب .

ومنها يوم **القصاص** : قال رسول الله – ﷺ –:

– « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ».

وقال الهادى البشير – ﷺ –:

– « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذت منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

وتساءل رسول الله – ﷺ – يوما :

– « أتدرون من المفلس ؟ » .

قال الصحابة :

– المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ولا متاع .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

– « إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » .

ولما رجعت إلى رسول الله - ﷺ - مهاجرة البحر - مهاجرو الحبشة الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة ثم رجعوا إلى المدينة عقب فتح خيبر - قال - ﷺ -:

- « **ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟** » .

فقال فتية منهم :

- بلى يارسول الله بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف ياغدر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا ؟ .

قال - ﷺ -:

- « **صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم ؟** » .

قال أبو هريرة :

- كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة هو لا يعرفه فيقول : مالك إلى وما بينى وبينك معرفة ؟ فيقول : كيف ترانى على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهانى ؟ .

قال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا** ﴾[1]، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[2].

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **إنه ليكون للوالدين على ولدهما دين فإن كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول : أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك** » .

ومنها يوم **الحاقة** : وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها أو لأنها كانت من غير شك أو لأنها أحقت أقواما للنار .

قال تعالى : ﴿ **الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ** ﴾[3] أى يوم القيامة فالقيامة حاقة لأنها تحق كل محاق فى دين الله بالباطل أى كل مخاصم .

---

(١) البقرة : ٤٨ . (٢) النساء : ٤٠ . (٣) الحاقة : ١ - ٢ .

ومنها يوم **الطامة** : معناها يوم القيامة والطامة الغالية من قولك طم الشيء إذا علا وغلب ولما كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الأسم حقيقة دون كل شيء .

وقيل :

– الطامة : النفخة **الثانية** .

وقيل :

– حين ساق أهل النار إلى النار .

ومنها يوم **الصاخة** : أى يوم النفخة الأولى والصاخقو التى تورث الصمم .

ومنها يوم **الوعيد** : وهو يوم الوعد للنعيم والوعيد للعذاب الأليم وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة والوعد الخبر عن المشوبة عند الموافقة .

ومنها يوم **الدين** : قال تعالى : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[1] وقال : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴾[2] وهو يوم الدينونة أى الحساب والجزاء وهو يوم القيامة .

ومنها يوم **الجزاء** : قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[3] وقال : ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾[4].

ومنها يوم **الوفاء** : قال تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ** ﴾[5] أى حسابهم وجزاؤهم والجنة جزاء الحسنات والنار جزاء السيئات قال تعالى فى المعنيين : ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[6]، ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[7]، ﴿ **كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ** ﴾[8].

ومنها يوم **الندامة** : وذلك أن المحسن إذا رأى جزاء إحسانه والكافر جزاء كفره ندم المحسن أن لايكون مستكثرا وندم المسيء أن لا يكون استعتب .

ومنها يوم **الحسرة** : قال تعالى : ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ** ﴾[9] إذا ذبح الموت ويوم الحسرة أى يوم القيامة والحسرة استكشاف المكروه بعد خفائه .

---

(١) فاتحة الكتاب : ٤ . (٢) الانفطار : ١٧ – ١٨ . (٣) التحريم : ٧ .
(٤) غافر : ١٧ . (٥) النور : ٢٥ . (٦) التوبة : ٨٢
(٧) الواقعة : ٢٤ ، الاحقاف : ١٤ . (٨) فاطر : ٣٦ .
(٩) مريم : ٣٩ .

ومنها يوم التبديل : قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴾[1] قال رسول الله - ﷺ -:

- « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد » .

تقول أم المؤمنين عائشة :

- أنا أول من سأل رسول الله - ﷺ - ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ والسَّمَوَاتِ ﴾ فقلت : أين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال : « على الصراط » .

وقالت :

- يارسول الله فأين الناس يومئذ ؟ قال : « لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد من أمتى ذاك أن الناس على جسرهم » .

ومنها يوم التلاق : قال تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾[2] أى إنما يبعث الرسل لإنذار يوم البعث أو لينذر الله ببعثه الرسل إلى الخلائق أى يوم تلتقى أهل السماء وأهل الأرض أى يلتقى فيه العابدون والمعبودون وقيل : الظالم والمظلوم وقيل : يلتقى كل إنسان جزاء عمله وقيل : يلتقى الأولون والآخرون على صعيد واحد . وهو اتصال المعنيين بسبب من أسباب العلم والجسمين وهو أنواع أربعة :

١ - لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا .

٢ - عمله .

أى أن هؤلاء الرجال لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين يوم القيامة ومن لا حسنة له فهو فى النار .

ومنها يوم عقيم : والعقيم من لا يكون له ولد ولما كان الولد يكون بين الأبوين وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع بالتعدية فيها كهيئة الولادة ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم .

ومنها يوم عسير : قال تعالى : ﴿ وكان يوما على الكافرين عسيرا ﴾[3] فهو فى عسير فى حق الكافرين خاصة والعسر ضد اليسر فهو عسير على

(١) إبراهيم : ٤٨ . (٢) غافر : ١٥ .
(٣) الفرقان : ٢٦ .

الكافرين لأنهم لا يرون فيه أملا ولا يقطعون فيه رجاء حتى إذا خرج المؤمنون من النار طلبوا مثل ذلك فيقال لهم : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾[1].

قال رسول الله - ﷺ -:

- « يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون : ياربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما رأينا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا قال : ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم لى بارزتمونى بالعظائم وإذا لقيم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب » .

قال تعالى : ﴿ **الله يستهزىء بهم** ﴾[2] يقال لأهل النار وهم فى النار : أخرجوا فتفتح لهم أبواب النار فإن انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم فذلك قوله عز وجل : ﴿ **الله يستهزىء بهم** ﴾ . ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم فذلك قوله عز وجل : ﴿ **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون** ﴾[4]؟.

ومنها يوم **مشهود** : سمى بذلك لأنه يشهده كل مخلوق وقيل : سمى بذلك لأن الشهداء يشهدون فيه على مايأتى والله أعلم .

ومنها يوم **التغابن** : قال تعالى : ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن** ﴾[4] أى يوم القيامة .. قال :

وما أرتجى بالعيش فى دار فرقة ألا إنما الراحات يوم التغابن

وسمى يوم القيامة يوم التغابن لأن الناس يتغابنون فى المنازل عند الله : فريق فى الجنة وفريق فى السعير فقد غبن فيه أهل النار أى أن أهل الجنة أخذوا الجنة وأخذ أهل النار النار على طريق المبادلة فوقع الغبن لأجل مبادلتهم الخير بالشر والجيد بالردىء والنعيم بالعذاب قال تعالى : ﴿ **أولئك الذين اشتروا**

---

(١) المؤمنون : ١٠٨ . (٣) البقرة : ١٥ .

(٣) المطففون : ٣٤ - ٣٦ . (٤) التغابن : ٩ .

الضلالة بالهدى ﴾[1] فالكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا فى تجارتهم بل خسروا وأهل الجنة اشتروا الآخرة بالدنيا واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة وهذا نوع من المبادلة قال تعالى : **﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب ﴾**[2] فمن أراد الآخرة فسعيه مشكور وحظه فى الآخرة موفور .

ومنها يوم **عبوس قمطرير** : قال تعالى : **﴿ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ﴾**[3] يوم عبوس هو الذى يعبس فيه وعبوسه هو قبض ما بين العينين وتغيير السحنة عن عادتها وأول العبوس والكلوح عند الخروج من القبور ورؤية الأعمال فى الصور القبيحة والقمطرير أى الشديد أو الطويل .

ومنها يوم **تبلى السرائر** : ومعناه اخراج المخبئات بالاختيار بوزن الأعمال فى الصحف ويكشف الساق عند السجود .

٣ – لقاء أهل السموات لأهل الأرض فى المحشر .

٤ – لقاء الخلق للبارى سبحانه وذلك يكون فى عرصات القيامة فى الجنة ومنها يوم **الآزفة** : تقول العرب :

– أزف كذا .

أى قرب .. قال الشاعر :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما نزل برحالنا وكان قد

وهى قريبة جدا وكل آت قريب وإن بعد مداه قال تعالى : **﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾**[4].

ومنها يوم **المآب** : ومعناه الرجوع إلى الله تعالى ولم يذهب عن الله شىء فيرجع إليه وإنما حقيقته أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله لما خلق فيه علما وخلق فيه ايثارا واختيارا ظن الناس أنه شىء أو أن له فعلا فإن أماته وسلب ما كان أعطاه أذعن وآب فى وقت لا ينفعه الإياب ولم يزل عن الله تعالى فى حال فهو الأواب .

ومنها يوم **المصير** : وهو يوم المآب بعينه قال تعالى : **﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾**[5] فالخلق سائرون إلى أمر الله وآخر

---

(١) البقرة : ١٦ . (٢) الشورى : ٢٠ . (٣) الإنسان : ١٠ .
(٤) الأحزاب : ٦٣ . (٥) النور : ٤٢ .

ذلك دار القرار وهى الجنة أو النار قال تعالى فى حق الكافرين : ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾[1].

ومنها يوم **القضاء** : وهو يوم الحكم والفصل وأول ما يقضى فيه الدماء قال رسول الله - ﷺ - :

- « **فيكون أول ما يقضى بينهم فى الدماء ويأتى كل قتيل قتل فى سبيل الله فيأمر الله كل من قتل فيحمل رأسه وتشخب أوداجه دما فيقول : يارب سل هذا فيم قتلنى ؟ فيقول الله تعالى له - وهو أعلم - فيم قتلته ؟ فيقول : رب قتلته لتكون العزة لى فيقول الله تعالى : تعست ثم لا تبقى قتلة إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان فى مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء رحمه** » .

وقال - ﷺ -:

- « **يجىء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول : يارب قتلنى هذا حتى يدنيه من العرش** » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « **يأتى المقتول ملعقا رأسه بإحدى يديه متلببا قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دماحتى يوقف فيقول المقتول لله سبحانه : هذا قتلنى فيقول الله تعالى للقاتل : تعست ويذهب به إلى النار** » .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾[4]، ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾[3]، ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾[4].

ومنها يوم **الوزن** : قال تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾[5] والوزن أى الأعمال يوم القيامة والحق أى الذى لا يظلم أحدا كقوله : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[6]، ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[7].

---

(١) إبراهيم : ٣٠ .

(٢) الممتحنة : ٣ .　(٣) الحج : ٥٦ .　(٤) الممتحنة : ١٠ .

(٥) الأعراف : ٨ .　(٦) الأنبياء : ٤٧ .　(٧) القارعة : ٦ - ٩ .

قال رسول الله - ﷺ -:

- « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وأقرأوا إن شئتم ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾[1].

ومنها يوم لا تملك نفس لنفس شيئا : يقول تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[2]، ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا ﴾[3] يوم لا يغنى ابن العم والناصر أى لا يدفع ابن العم عن ابن عمه ولا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه ولا ينصر المؤمن الكافر لقرابته فكل نفس بما كسبت رهينة لا يغنى أحد عن أحد شيئا بل ينفصل كل واحد عن أخيه وأبيه قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[4].

ومنها يوم التقلب :وهو يوم التحول قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾[5] أى قلوب الكفار وأبصارهم فتقلب قلوب الكفار انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر فلا هى ترجع إلى أماكنها ولا هى تخرج وقيل : تتقلب القلوب بين الطمع والنجاة والخوف من الهلاك والأبصار تنظر من أى ناحية يعطون كتبهم وإلى أى ناحية يؤخذ بهم

وقيل : إن قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين إلا أن ذلك لا ينفعهم فى الآخرة .

ومنها يوم يدعون إلى نار جهنم دعا : والدع الدفع أى يدفعون إلى جهنم ويسحبون فيها على وجوههم قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾[6]، ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾[7].

ومنها يوم الشخوص والاقناع : قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾[8] أى تتجمد أبصار الكفار فلا تطرف لهول ما ترى يوم القيامة حيث يمسك هذا بها هذا الهول ويشدها إليه هذا البلاء فتسكن وتجمد

---

(١) الكهف : ١٠٥ .
(٢) البقرة : ٤٨ . (٣) الدخان : ٤١ . (٤) عبس : ٣٤ - ٣٧ .
(٥) النور : ٣٧ . (٦) الطور : ١٣ . (٧) القمر : ٤٨ .
(٨) إبراهيم : ٤٢ .

قال ابن عباس :

– تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغتمضن .

ومنها يوم ﴿ لَا يَنطِقُونَ • وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[1] أى لايتكلمون ولا يؤذن لهم فى الاعتذار والتنصل وذلك حين يقال لهم ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[2] وتطبق عليهم جهنم .

ومنها ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾[3] أى يوم لا ينفع المشركين عذر ولا فدية ولهم سوء العاقبة .

ومنها يوم الفتنة : قال تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[4] أى يعذبون – فتنت الذهب إذا رميت به فى النار – .

ومنها يوم الأشهاد : قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾[5] يعنى يوم القيامة والأشهاد أربعة : الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد وقيل الأشهاد : الملائكة تشهد للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالتكذيب .

ومنها ﴿ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾[6] أى يوم القيامة وهو لا يرده أحد بعد ما حكم الله به وجعله أجلا ووقتا .

ومنها يوم الغاشية : وسميت بذلك لأنها تغشى الناس بإفزاعها أى تعمهم بذلك قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾[7] فالغاشية من أسماء يوم القيامة فقد مر رسول الله – ﷺ – على امرأة تقرأ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ فقام يستمع ويقول :

– « نعم قد جاءنى » .

ومنها يوم لابيع فيه ولا خلال : قال تعالى : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾[8] وهو يوم القيامة وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾[9] والخلة والخلال : الصداقة والمودة .

---

(١) المرسلات : ٣٥ . (٢) المؤمنون : ١٠٨ .
(٣) غافر : ٥٢ . (٤) الذاريات : ١٣ . (٥) غافر : ٥١ .
(٦) الروم : ٤٣ . (٧) الشورى : ٤٧ . (٨) الغاشية : ١ .
(٩) إبراهيم : ٣١ . (١٠) البقرة : ٢٥٤ .

ومنها يوم **لاريب فيه** : وإن وقع فيه ريب الكفار أى شك فليس فيه ريب لقيام الأدلة الظاهرة عليه كما قال تعالى : ﴿ **أفِى اللهِ شَكٌّ** ﴾[1] فليس فى البارى شك لقيام الأدلة عليه ولشهادة أفعاله ولإقتضاء المحدث أن يكون له محدث ولكن قد شك فيه قوم ونفاه آخرون ولم يوجب ذلك شكا فيه لقيام الأدلة عليه فكذلك يوم القيامة لا ريب فيه ولا شك فيه مع النظر فى الدليل والعلم قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِى الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى الْقُبُورِ** ﴾[2].

ومنها ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾[3] يعنى يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوه المؤمنين مبيضة ووجوه الكافرين مسودة ويقال : إن ذلك عند قراءة الكتاب إذا قرأ المؤمن كتابه فرأى فى كتابه حسناته استبشر وابيض وجهه وإذا قرأ الكافر كتابه فرأى فيه سيئاته أسود وجهه ويقال : إن ذلك عند الميزان إذا رجحت حسناته أبيض وجهه وإذا رجحت سيئاته اسود وجهه ويقال : ذلك عند قوله تعالى : ﴿ **وامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ** ﴾[4] ويقال : إذا كان يوم القيامة يؤمر كل فريق بأن يجتمع إلى معبوده فإذا انتهوا إليه حزنوا وأسودت وجوههم فيبقى المؤمنون وأهل الكتاب والمنافقون فيقول الله تعالى : **« من ربكم ؟ فيقولون : ربنا الله عز وجل فيخر المؤمنون سجدا لله تعالى فتصير وجوههم مثل الثلج بياضا ويبقى المنافقون وأهل الكتاب لا يقدرون على السجود فيحزنوا وتسود وجوههم »** .

يقول عبد الله بن عباس :

– تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة .

وقيل : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة والمنافقين .

ومنها يوم **الشفاعة** : قال تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾[5] إن الله يأذن لمن يشاء فى الشفاعة وهم : الأنبياء والعلماء

---

(١) إبراهيم : ١٠ . (٢) الحج : ٦ ، ٧ . (٣) آل عمران : ١٠٦ .
(٤) يس : ٥٩ . (٥) البقرة : ٢٥٥ .

والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى كما قال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[1].

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **يصف الناس يوم القيامة صفوفا فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول : يافلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة ؟ قال : فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول : أما تذكر يوم ناولتك طهوراً ؟ فيشفع له ويقول : يافلان أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك ؟ فيشفع له** » .

وقال تعالى : ﴿ **ولا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾[2].

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء** » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « **يشفع نبيكم رابع أربعة : جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم - ﷺ - ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء** » .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام : رب منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان** » .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » .

فقال الصحابة :

- يانبي الله فأنت لشرار أمتك ؟ .

قال النبي عليه الصلاة والسلام :

- « **نعم أنا لشرار أمتي** » .

فتساءلوا :

- فكيف أنت لخيارها ؟

---

(1) الأنبياء : ٢٨ .　　(2) سبأ : ٢٣ .

قال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « **أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتى** »

ثم قال خاتم الرسل - ﷺ -:

- « **خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للخطائين المذنبين المتلوثين** ».

وخرج النبى - ﷺ - على أصحابه ذات صباح فسألهم :

- « **أتدرون ما خيرنى ربى الليلة ؟** » .

قالوا :

- الله ورسوله أعلم .

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **إنه خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة** » .

فقال الصحابة :

- يارسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها .

قال - ﷺ -:

- « **هى لكل مسلم** » .

ومنها يوم **العرق** : قال رسول الله - ﷺ -:

- « **تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق فى الأرض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل - حتى يقول الرجل غرغر - فإذا رأوا ماهم فيه قال بعضهم لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ائتوا أباكم آدم فيشفع لكم** » ... الحديث .

وقال - ﷺ -:

- « **تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما** » .

وأشار رسول الله - ﷺ - إلى فيه .

وقال النبى عليه الصلاة والسلاة :

- **« إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعا وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو أذانهم يشك ثورأيهما »** .

وسئل الهادى البشير - ﷺ - عن قوله تعالى :

- **﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾**[1] قال : **« يوم يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه »** .

ومنها يوم **القلق والجولان** : وهو عبارة عن عدم الاستقرار والثبوت .

ومنها يوم **الفرار** : قال تعالى : **« يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۔ وأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۔ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾**[2] فيفر كل واحد من صاحبه حذرا من مطالبته إياه اما لما بينهم من التبعات أولئلا يروا ماهو فيه من الشدة .

وأول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم وأول من يفر من ابنه نوح وأول من يفر من امرأته لوط وهذا فرار التبرى نجانا الله من أهوال هذا اليوم .. آمين آمين آمين .

أشراط الساعة وعلاماتها :

فأما وقتها فلا يعلمه إلا الله **﴿ إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾**[3] ويراد به قصر علم الساعة على الله وحده وعلم الساعة هو كل ما يتصل بيوم القيامة من اليوم الذى تجىء فيه وما يقع فيها من أحداث وما يلقى كل إنسان من جزاء .

لقى جبريل عليه السلام عيسى عليه السلام فقال له عيسى :

- **« متى الساعة ؟ »** .

فانتفض جبريل عليه السلام فى أجنحته وقال :

- **« وما المسؤول عنها بأعلم من السائل ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة »** .

وقال تعالى : **﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾**[4] قال

---

(١) التطفيف : ٦ .

(٢) عبس : ٣٤ - ٣٦ . (٣) لقمان : ٣٤ . (٣) الأنعام : ٥٩ .

رسول الله - ﷺ -:

- « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما فى غد إلا آلله ولا يعلم متى يأتى المطر إلا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله** » .

وكان الفاروق جالسا مع بعض الصحابة عند رسول الله - ﷺ - يوما فجاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة حتى أتى النبى - ﷺ - فألزق ركبته بركبتيه ثم قال :

- يامحمد ما الإيمان ؟.

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره** » .

فقال :

- صدقت .. فما الإسلام ؟ .

قال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان** » .

فقال :

- صدقت .. فما الإحسان ؟ .

قال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « **أن تعبد الله كأنك تراه فإنك ان لم تكن تراه فإنه يراك** » .

قال :

- صدقت .

فتعجب عمر بن الخطاب والحاضرون يسأله ويصدقه ؟ ثم تساءل :

- فمتى الساعة ؟

قال - ﷺ -:

- « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** ».

قال :

– فما أماراتها ؟ .

قال الذى لا ينطق عن الهوى – ﷺ –:

– « **أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة أصحاب الشاء يتطاولون فى البناء** » .

ولقى النبى عليه الصلاة والسلام الفاروق بعد ذلك بثلاث فقال :

– « **ياعمر هل تدرى من السائل ؟ ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم** » .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى** ﴾[1] أى الساعة .

وقال – ﷺ –:

– « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » .

وضم السبابة – السباحة – والوسطى أى أنا النبى الخاتم فلا يلينى نبى آخر وإنما تلينى القيامة كما تلى السبابة الوسطى وليس بينهما اصبع أخرى .

قال جل وعلا : ﴿ **فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾[2] فبعثه رسول الله – ﷺ – النبى الأخير من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذى أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين وقد أخبر النبى – ﷺ – بامارات الساعة وأشراطها .

أشراط الساعة الصغرى :

قال رسول الله – ﷺ –:

– « **إذا عملت أمتى خمس عشرة خصلة حل بهم البلاء** » .

فتساءل الصحابة :

– وماهى يارسول الله ؟ .

قال – ﷺ –:

– « **إذا اتخذوا الفيء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وجفا أباه وعق أمه وبر صديقه وشربت الخمور ولبست الحرير والديباج واتخذوا المعازف والقينات وأكرم الرجل مخافة شره وكان زعيم**

---

(١) الأعراف : ١٨٧ .   (٢) محمد : ١٨ .

القوم أرذلهم ولعن آخر هذه الأمة أولها وارتفعت الأصوات فى المساجد فليتوقعوا خلالا ثلاثا : ريحا حمراء وخسفا ومسخا » .

وقال - ﷺ -:

- « **يكون فى أمتى قذف ومسخ وخسف** » .

فقال بعض الصحابة :

- يارسول الله ومتى ذلك ؟ .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

- « **إذا ظهرت المعازف وكثرت القينات وشربت الخمور** » .

وصلى رسول الله - ﷺ - صلاة الصبح يوما فلما قضى صلاته ناداه رجل :

- يارسول الله متى الساعة ؟ .

فزبره - زجره - رسول الله - ﷺ - وانتهره وقال له :

- « **اسكت** » .

حتى إذا أسفر رفع طرفه إلى السماء فقال :

- « **تبارك رافعها ومدبرها** » .

ثم رمى ببصره إلى الأرض وقال :

- « **تبارك داحيها وخالقها** » .

ثم قال :

- « **أين السائل عن الساعة ؟** » .

فجثى الرجل على ركبتيه فقال :

- أنا بأبى وأمى سألتك .

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **ذلك عند حيف الأئمة وتصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر وحين تتخذ الأمانة مغنما والصدقة مغرما والفاحشة زنا حرة فعند ذلك هلاك قومك** » .

وقال - ﷺ -:

- « **إن من أشراط الساعة أن تنتقض العقول وتقرب الأحلام ويكثر الهم** » .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **إذا كنت فى قوم عشرين رجلا أو أقل أو أكثر فتصفحت وجوههم فلم ترفيهم رجلا يهاب فى الله فأعلم أن الأمر قد قرب** » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « **إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار ويشرف الأشرار ويسود كل قوم منافقوهم** » .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى - ﷺ -:

- « **إن الله يبغض الفاحش المتفحش والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وسوء الجوار وقطيعة الأرحام حتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن والذى نفس محمد بيده إن أسلم المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وإن أفضل الهجرة من هجر ما نهى الله عنه والذى نفس محمد بيده إن مثل المؤمن كمثل القطعة من الذهب نفخ عليها صاحبها فلم تغير ولم تنقص والذى نفس محمد بيده إن مثل المؤمن كمثل نخلة أكلت طيبا ووضعت طيبا ووقعت ولم تكسر ولم تفسد ألا وإن لى حوضا ما بين ناحيته كما بين أيلة إلى مكة وإن فيه أباريق مثل الكواكب هو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا** » .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- « **لا تقوم الساعة حتى يتسافد الناس فى الطرق تسافد الحمر** » .

وقال - ﷺ -:

- « **لا تقوم الساعة حتى يتهارجون فى الطرق تهارج الحمر فيأتيهم إبليس فيصرفهم إلى عبادة الأوثان** » .

وقال - ﷺ -:

- « **من أشراط الساعة أن يمر الرجل فى المسجد فلا يركع فيه ركعتين** » .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام ذات ليلة لأصحابه :

- « **إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة وسيصلى قوم لا دين لهم وإن هذا القرآن الذى بين أظهركم يوشك أن يرفع** » .

قالوا :

– وكيف يرفع وقد أثبته الله فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا ؟ .

قال نبى الرحمة – ﷺ –:

– **« يسرى عليه ليلة فيذهب بما فى قلوبكم ويذهب بما فى مصاحفكم ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[1] »** .

أشراط الساعة الكبرى :

كان حذيفة بن اليمان وبعض الصحابة جلوسا بمدينة رسول الله – ﷺ – فى ظل حائط وكان النبى عليه الصلاة والسلام فى غرفة فأشرف عليهم وقال :

– **« مايجلسكم ؟ »** .

قالوا :

– نتحدث .

فتساءل :

– **« فيما ؟ »** .

قالوا :

– عن الساعة .

فقال – ﷺ –:

– **« إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : أولها طلوع الشمس من مغربها ثم الدخان ثم الدجال ثم الدابة ثم ثلاث خسوف : خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وخروج عيسى وخروج يأجوج ومأجوج ويكون آخر ذلك نارا تخرج من اليمن من حفرة عدن لا تدع أحدا خلفها إلا تسوقهم إلى المحشر »** .

١ – طلوع الشمس من مغربها

وقال خاتم الأنبياء – ﷺ –:

– **« أول الآيات خروجا : طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى »** .

---

(١) الإسراء : ٨٦ .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « إن من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضه سبعون سنة فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .

٢ - خروج الدجال

قال رسول الله - ﷺ -:

- « الدجال أعور عين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار » .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- « إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة - جمع مجن وهو الترس والطراق جلد يقطع على مقدار الترس فيلصق على ظهره - » .

وقال - ﷺ -:

- « أنذرتكم المسيح وهو ممسوح العين اليسرى تسير معه جبال الخبز وأنهار الماء علامته : يمكث فى الأرض أربعين صباحا يبلغ سلطانه كل منهل لا يأتى أربعة مساجد : الكعبة ومسجد الرسول والمسجد الأقصى والطور ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور يسلط على رجل فيقتله ثم يحييه ولا يسلط على غيره » .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « أنذرتكم المسيح أنذرتكم المسيح الدجال إنه لم يكن نبى قبل إلا قد أنذر أمته وإنه فيكم جعد آدم ممسوح العين اليسرى معه جنة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء تمطر السماء ولا ينبت الشجر يسلط على نفس مؤمنة فيميتها ثم يحييها يكون فى الأرض أربعين صباحاً لا يبقى منها إلا أتاه لا يدخل المساجد الأربعة : مكة والمدينة وبيت المقدس والطور فما شبه عليكم من شأنه فاعلموا أن الله ليس بأعور » .

وذات يوم صعد رسول الله - ﷺ - المنبر بالهاجرة وكان لا يصعد عليه قبل ذلك إلا يوم الجمعة فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم وجالس

فأشار إليهم رسول الله - ﷺ - بيده أن اقعدوا ثم تساءل أبو القاسم - ﷺ -:

- « يأيها الناس هل تدرون لم جمعتكم ؟ إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثنى أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ثم أرسوا إلى جزيرة فى البحر حين مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا : ويلك ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة قالوا : وما الجساسة قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال : لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه خلقا قط وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا : ويلك ما أنت قال : قد قدرتم على خبرى فأخبرونى ما أنتم ؟ قالوا : نحن ناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم - هاج واضطربت أمواجه - فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب - أهدب أى كثير الهدب أو طويله والهدب شعر أشفار العين - كثير الشعر ما ندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة - سميت بذلك لأنها تجس الأخبار للدجال - قلنا : وما الجساسة ؟ قالت : أعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق - معلبسا بها - فأقبلنا إليك سرعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال : أخبرونى عن نخل بيسان قلنا : من أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل تثمر ؟ قلنا : نعم قال : أما أنا توشك أن لا تثمر قال : أخبرونى عن بحيرة الطبرية قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قلنا : هى كثيرة الماء قال : إن ماءها يوشك أن يذهب قال : أخبرونى عن عين زغر - عين بالشام من أرض البلقاء - قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال :

أخبرونى عن نبى الأميين مافعل و قلنا : خرج من مكة ونزل بيثرب قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم قال : أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإنى مخبركم عنى إنى أنا المسيح الدجال وإنى أوشك أن يؤذن لى بالخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة - المدينة - هما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استبقلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها ألا أخبركم هذه طيبة هذه طيبة »
ألا هل كنت حدثتكم ذلك فإنه أعجبنى حديث تميم انه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة إلا انه فى بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ماهو من قبل المشرق ماهو من قبل المشرق ماهو من قبل المشرق ماهو وأومى بيده إلى المشرق . (رواه أحمد ومسلم) .

وذهب جماعة من الصحابة إلى رسول الله - ﷺ - فسألهم :

- **« ما شأنكم ؟ » .**

قالوا :

- يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ثم رفعت حتى ظننا أنه فى طائفة النخل .

وقال - ﷺ -:

- **« غير الدجال أخوفنى عليكم ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم أنه شاب قطط - شديد جعودة الشعر - عينه قائمة كأنى أشبه بعبد العزى بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه يخرج من خلة - طريق بينهما - بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله أثبتوا » .**

قالوا :

- يارسول الله ومالبثه فى الأرض ؟ .

وقال - ﷺ -:

- **« أربعون يوما . يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعه وسائر أيامه كأيامكم » .**

فتساءلوا :

– يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة يوم ؟ .

قال نبى الرحمة – ﷺ –:

– « **فاقدروا له قدره** » .

فعادوا يتساءلون :

– فما اسراعه فى الأرض ؟ .

قال – ﷺ –:

– « كالغيث استدبرته الريح .. فيأتى القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويؤمنون به فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وتروح عليهم سارحتهم – ماشيتهم – أطول ما كانت ذرى – جمع ذروة وهو أعلى سنام البعير – وأسبغه ضروعاً – أطوله لكثرة اللبن – وأمده خواصر – لكثرة امتلائها من الشبع – ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين – مجدبين – ما بأيديهم شىء ثم يمر بالخربة – الأرض الخراب – فيقول لها : أخرجى كنوزك فينطلق فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل – يعسوب أى أمير النحل لأنه متى طار تبعته جماعته – ثم يدعو رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف ضربة فيقطعه جزلتين – قطعتين – رمية الغرض – يجعل بين الجزلتين مقدار رميته – ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هم كذلك إذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء – شرق دمشق بين مهرودتين – لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران – واضع كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه ينحدر منه جمان كاللؤلؤ – الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ فى صفائه – ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فينطلق حتى يدركه عند باب لد – بلدة قريبة من بيت المقدس – فيقتله . ثم يأتى نبى الله عيسى قوما قد عصمهم الله فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إليه : ياعيسى إنى قد أخرجت عبادا لى لا يدان – لا قوة ولا قدرة ولا طاقة – لأحد بقتالهم وأحرز عبادى إلى الطور – الاحراز الجمع والادخال فى الحرز – ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما

قال الله من كل حدب – مرتفع من الأرض – ينسلون – يسرعون – فيمر أوائلهم على بحيرة الطبرية فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم فيقولون : لقد كان فى هذا ماء مرة ويحضر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيراً لأحدهم من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى أوصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف – دود يكون فى آنف الإبل – فى رقابهم فيصبحون فرسى – قتلى مفرد فريس – كموت نفس واحدة ويهبط نبى الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضع شبر إلا قد ملأه زهمهم – ريح منتنة – ونتنهم ودماؤهم فيرغبون إلى الله سبحانه فيرسل عليهم طيرا كأعناق البخت – جمال طوال الأعناق مفرد بختى – فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله عليهم مطراً لا يكن – لا يستر ولا يبقى – منه بيت مدر – الطين الصلب – ولا وبر فيغسله حتى يتركه كالزلقة – المرآة – ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة – الجماعة من الناس – من الرمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها – مقعر قشرها – ويبارك الله فى الرسل – اللبن – حتى أن اللقحة – الناقة القريبة العهد بالنتاج – تكفى الفئام – الجماعة الكثيرة – من الناس واللقحة من البقر تكفى القبيلة واللقحة من الغنم تكفى الفخذ – الجماعة من الأقارب – فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم ويبقى سائر الناس يتهارجون – يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمر – كما تتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة »(رواه أحمد ومسلم والترمذى) .

لقى رسول الله – ﷺ – ابن صياد ومعه أبو بكر فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– « أتشهد أنى رسول الله ؟ » .

فقال ابن الصياد :

– أتشهد أنى رسول الله ؟ .

فقال خاتم الأنبياء – ﷺ –:

– « آمنت بالله وملائكته وكتبه » .

ثم تساءل النبى – ﷺ –:

– « ماترى ؟ » .

فقال ابن صياد :

- أرى عرشا على الماء وماترى ؟ .

فقال له رسول الله - ﷺ -:

- « ترى عرش إبليس على البحر وماترى ؟ » .

قال ابن صياد :

- أرى صادقين وكاذبا أو كاذبين وصادقا .

فقال رسول الله - ﷺ -:

- « لبس عليه - خلط عليه أمره فجعلني في أمره وأشك فيه - لبس عليه فدعوه » .

وذات يوم كان رسول الله - ﷺ - يسير مع الفاروق وابن مسعود وبعض الصحابة فمروا بصبيان فيهم ابن صياد ففر الصبيان وجلس ابن صياد فكأن رسول الله - ﷺ - كره ذلك فقال له النبي - ﷺ -:

- « تربت يداك أتشهد أني رسول الله ؟ » .

فقال ابن صياد :

- لا بل تشهد أني رسول الله ؟ .

فقال عمر بن الخطاب :

- ذرني - دعني - يارسول الله أقتله .

فقال نبي الرحمة - ﷺ -:

- « إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله » (أخرجه مسلم) .

فابن صياد - اسمه صاف من يهود المدينة - أمره مشتبه في أنه هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ولاشك أنه دجال من الدجاجلة فظاهر الأحاديث أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره وإنما أوحى إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان أبو القاسم - ﷺ - لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره لهذا قال لعمر بن الخطاب لما أراد قتله :

- « إن يكن هو فلن تستطيع قتله » ..

وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو وأن لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه

إلى مكة فلا دلالة فيه لأن النبى - ﷺ - إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه فى الأرض ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين ..

وخبأ النبى عليه الصلاة والسلام لابن صياد دخانا فمر بابن صياد ذات يوم فقال له :

- **« قد خبأت لك خبأ »** .

فقال ابن صياد :

- دخ .

فقال خاتم الأنبياء -ﷺ -:

- **« اخسأ فلن تعدو قدرك - أصلك - »** (رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود) .

فلما ولى رسول الله - ﷺ - سأل القوم الذين كانوا معه :

- وماذا قال ؟ :

قال بعضهم :

- دخ .

وقال بعضهم :

- بل ذخ .

فقال رسول الله - ﷺ -:

- **« هذا وأنتم معى تختلفون ؟ فأنتم بعدى أشد اختلافا »** .

لماذا لم يذكر الدجال صراحة فى القرآن الكريم ؟

ما الحكمة فى أن الدجال مع كثرة شره وفجوره وانتشار أمره ودعاء الربوبية وهو فى ذلك ظاهر الكذب و الافتراء وقد حذر منه جميع الأنبياء لم يذكر فى القرآن ويحذر منه ويصرح باسمه وينوه بكذبه وعناده ؟ .

لقد أشير إلى ذكره فى قوله تعالى : **﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَايَنْفَعُ نَفساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوكَسَبَتْ فِى إِيمانِهَا خيْرًا ﴾**[1].

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا : الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب أو من مغربها »** .

---

(١) الأنعام : ١٥٨ .

وينزل عيسى بن مريم من السماء الدنيا فيقتل الدجال وقد ذكر القرآن نزوله فى قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بن مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَاقَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلكن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وإِنْ مِن أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[1].

لما بعث الله عز وجل عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسده اليهود على ما أتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات التى كان يبرىء الأكمة والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ويصور من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يشاهد طيرانه بإذن الله عز وجل إلى غير ذلك من المعجزات التى أكرمه الله بها وأجراها على يديه ومع ذلك كذبوه وخالفوه وسعوا فى إيذائه وأذاه بكل ما أمكنهم حتى جعل نبى الله عيسى عليه السلام لا يساكنهم فى بلدة بل كثر السياحة هو وأمه عليهما السلام فلم يقتنعوا بذلك بل سعوا إلى ملك دمشق وكان رجلا مشركا من عبدة الكواكب وكان يقال لأهل ملته اليونان وأنهى إليه اليهود فى بيت المقدس أن رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف آذاه عن الناس فلما وصل الكتاب امتثل والى بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذى فيه عيسى عليه السلام وهو فى جماعة من الحواريين – أصحابه – اثنى عشر أو ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر نفرا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت فحصروه هناك فلما أحس عيسى عليه السلام بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه :

– « **أيكم يلقى عليه شبهى وهو رفيقى فى الجنة ؟** » .

فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فأعادها عيسى عليه السلام ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب فقال :

– « **أنت هو** » .

وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنة من سقف البيت

(1) النساء : ١٥٧ – ١٥٩ .

وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك كما قال الله تعالى : ﴿ **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** ﴾[1] فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأوا ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه فى الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنه سعوا فى صلبه وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى لجهلهم وقلة عقولهم ما عدا من كان من الحواريين الذين كانوا مع المسيح فى البيت فقد رأوا رفعه . وأما الباقون فقد ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح عيسى بن مريم – قيل أن أمه مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت ويقال أنه خاطبها وأخبرها بما حدث – .

قال رسول الله – ﷺ –:

– « **يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون السجدة لله رب العالمين** » .

ولم يذكر بصريح اسم الدجال فى القرآن احتقارا له حيث يدعى الألهية وهو ليس ينافى حالة جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص فكان أمره عند الرب أحقر وأصغر من أن يحكى عن أمر دعواه ويحذر ولكن انتصر الرسل بجناب الرب عز وجل فكشفوا لأممهم عن أمر الدجال وحذروهم معه من الفتن المضلة فاكتفى بإخبار الأنبياء وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء – ﷺ – عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله فى القرآن العظيم ووكل بيان أمره إلى كل نبى كريم .. فقد ذكر فرعون فى القرآن وقد ادعى ما ادعاه من الكذب والبهتان حيث قال : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾[2] ﴿ **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى** ﴾[3].

وقد انقضى أمر فرعون وظهر كذبه لكل مؤمن وعاقل وهذا أمر سيأتى وكائن فيما يستقبل فتنة واختبارا للعباد فترك ذكره فى القرآن احتقاراً له وامتهانا

---

(١) آل عمران : ٥٥ . .
(٢) النازعات : ٢٤ . (٣) القصص : ٣٨

به إذ الأمر فى كذبه أظهر من أن ينبه عليه ويحذر منه وقد يترك الشيء لوضوحه .

٤ - يأجوج ومأجوج :

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« أريت أن ابن مريم يخرج من تحت المغارة البيضاء شرق دمشق واضعا يده على أجنحة الملكين بين ربطتين ممشقتين إذا أدنى رأسه قطر وإذا رفع رأسه تحادَرَ منه جمان كاللؤلؤ يمشي وعليه السكينة والأرض تقبض له ما أدرك نفسه من كافر مات وَيُدْرِكُ نفسُهُ حيث ما أدرك بصره حتى يُدرك بصره فى حصونهم وقربانهم حتى يُدرك الدجال عند باب لد فيموت ثم يعمد إلى عصابة من المسلمين عصمهم الله بالإسلام وينزل الكفار ينتفون لحاهم وجلودهم فتقول النصارى : هذا الدجال الذى أنذرناه وهذه الآخرةُ ومن مسَّ ابن مريم كان من أرفع الناس قدرا ويعظم مَسُّهُ ويمسحُ على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم من الجنة فبينما هم فرحون بما هم فيه إذ خرجت يأجوج ومأجوج فيوحى إلى المسيح أنى قد أخرجت عبادا لى لا يستطيع قتلهم إلا أنافا فاحرز عبادى إلى الطور فيمرُّ صدرُ يأجوج ومأجوج على بحيرة الطبرية فيشربونها ثم يقبلُ آخرهم فيركزون رماحهم فيقولون : لقد كان ههنا مرة** ماء حتى إذا كانوا حيال بيت المقدس قالوا : قد قتلنا من فى الأرض فهلموا نقتل من فى السماء فيرمون نبلهم إلى السماء فيردها الله مخضوبة بالدم فيقولون : قد قتلنا من فى السماء ويتحصن ابن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الجمل خيرا من مائة دينار اليوم » .

وسئل رسول الله - ﷺ -:

-يأجوج ومأجوج من ولد آدم ؟ ..

قال - ﷺ -:

- **« نعم ومن ورائهم ثلاث أمم : تأويل وتأريس ومنسك يلد الرجل من صلبه ألفا »** .

٥ - الخسف والمسخ :

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« ليخسفن بالدار إلى جنب الدار وبالدار إلى جنب الدار »** .

وقال - ﷺ -:

- « لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل حتى يقال للرجل : من بقى من بنى فلان - العرب تدعى إلى قبائلها والعجم تدعى إلى قراها - » .

وقال - ﷺ -:

- « يكون فى آخر أمتى خسف ومسخ وقذف » (رواه أحمد ومسلم)

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « تخرج معادن مختلفة قريب يقال لها : فرعون ذهب يذهب إليه شرار الناس وبينما هم يعملون فيه إذ حسر لهم عن الذهب فأعجبهم معتملة إذ خسف به وبهم » .

فالأرض تخرج مافى جوفها من الكنوز والأموال قال رسول الله - ﷺ -:

- « يوشك الفرات أن يحصر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل واحد منهم : لعلى أكون أنا الذى أنجو » .

وقال رسول الله - ﷺ -:

- « تقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول : فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول : فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول : فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه لا يأخذون منه شيئاً » .

وقال - ﷺ -:

- « يمسخ قوم من أمتى فى آخر الزمان قردة وخنازير » .

قيل :

- يارسول الله ويشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ويصومون ؟ .

قال - ﷺ -:

- « نعم » .

قيل :

- فما بالهم يارسول الله ؟ .

قال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « يتخذون المعازف والقينات والدفوف ويشربون الأشربة - الخمور - فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير » .

٦ - النار تخرج من قعر عدن :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « ... ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » .

٧ - الريح الصفراء :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « يبعث الله ريحا غبراء قبل يوم القيامة فتقبض روح كل مؤمن فيقال : فلان قبض روحه وهو فى المسجد وفلان قبض روحه وهو فى سوقه » .

٨ - الـدخـان :

قال تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

يقول عز وجل لنبيه محمد - ﷺ -: « انتظر يامحمد بهؤلاء الكفار - كفار مكة - يوم تأتى السماء بدخان مبين أو احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتى السماء بدخان مبين » .

١ - أنه من أشراط الساعة لم يجىء بعد وإنه يمكث فى الأرض أربعين يوما يملأ ما بين السماء والأرض فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل فى أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم وهو من آثار جهنم يوم القيامة .

قال رسول الله - ﷺ -:

- « أول الآيات خروجا الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم إذا أصبحوا وتمسى معهم إذا أمسوا » .

---

(١) الدخان : ١٠ - ١١ .

فقال حذيفة بن أسيد الغفارى :

– يانبى الله وما الدخان ؟ .

قال رسول الله – ﷺ –:

– **« ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره »** .

إن رسول الله – ﷺ – قال لابن صياد :

– **« إنى خبأت لك خبأ »** .

قال ابن صياد :

– هو الدخ .

فقال له رسول الله – ﷺ –:

– **« اخسأ فلن تعدو قدرك »** (رواه البخارى ومسلم)

وهذا فيه اشعار بأنه من المنتظر المرتقب وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهو يقرظون العبارة ولهذا قال :

– هو الدخ .

يعنى الدخان فعندها عرف نبى الرحمة – ﷺ – مادته وأنها شيطانية فقال :

– **« اخسأ فلن تعدو قدرك »** .

قال خاتم الأنبياء – ﷺ –:

– **« يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه »** .

٢ – يخص أهل مكة لما قيل فيه : ﴿ يَغْشَى النَّاسَ ﴾ وقوله : ﴿ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد .. فأتى رسول الله – ﷺ – فقيل :

– يارسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت .

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- « لمضر ؟ إنك لجرىء » .

فاستسقى فسقوا فنزل قوله تعالى : ﴿ **إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون** ﴾[1].

فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى كفرهم وحالهم فأنزل السميع العليم ﴿ **يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون** ﴾[2] أى يوم بدر .

٣ - إنه يوم فتح لما حجبت السماء الغبرة

إن قريشا أبطأوا عن الإسلام فدعا عليهم رسول الله - ﷺ -: « **اللهم عليهم بسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام حتى كان الرجل يرى بينه وبين السماء الدخان** » .

فجاء زعيم قريش أبو سفيان بن حرب فقال :

- يامحمد جئت تأمر بصلة الرحم وقومك قد هلكوا فادع الله .

فقرأ النبى عليه الصلاة والسلام هذه الآية : ﴿ **فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم * ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون * أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين** ﴾[3].

٩ - نزول عيسى عليه السلام :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **إن المساجد لتحدرُ لخروج المسيح وإنه سيخرج فيكسرُ الصليب ويقتل الخنزير ويؤمن به من أدركه فمن أدركه منكم فليقرئه منى السلام** » .

قال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **لينزلن ابن مريم حكما عدلا - عادلا - فليكسرنَّ الصليب وليقتُلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاصَ فلا يسقى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد** » .

وقال الهادى البشير وقال - :

- « **لاتقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم على ذروة أفيق بيده حربة يقتل الدجال** » .

---

(١) الدخان : ١٥ . (٢) الدخان : ١٦ . (٣) الدخان : ١٠ - ١٣ .

١٠ - خروج دابة الأرض :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الحواء - بيوت مجتمعة من الناس على ماء - ليجتمعون فيقول هذا : يامؤمن ويقول هذا : ياكافر » (رواه أحمد والترمذى)

قال - ﷺ -:

- « لا تخرج دابة الأرض حتى لا يبقى فى الأرض مؤمن » .

خروج الدابة من الأرض تكلم الناس :

قال تعالى : **﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾**[1].

هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله عز وجل لهم دابة من الأرض يقول رسول الله - ﷺ -:

- « الدابة تكون لها ثلاث خرجات من الدهر : فتخرج خرجة من أقصى اليمن حتى ينشر ذكرها فى أهل البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعنى مكة - ثم تمكث زمانا طويلا بعد ذلك ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فينتشر ذكرها فى أهل البادية وينشر ذكرها بمكة ثم تكمن زمانا طويلاً ثم بينما الناس يوما بأعظم المساجد على الله حرمة وخيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى ناحية المسجد ترغو ما بين الركن والمقام إلى باب بنى مخزوم على الخارج من المسجد تنفض عن رأسها التراب فأرفض الناس عنها شتى ومعاً وبقيت عصابة - جماعة - من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجعلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى - الكواكب الدرية - ثم ولت فى الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب - ولا ينجو منها هارب - حتى أن الرجل ليقوم ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يافلان آلان تصلى ؟ فيقبل عليها فتسمه

---

(١) النمل : ٨٢ .

فى وجهه ثم تذهب – تنطلق – ويتجاور الناس فى دورهم وفى أسفارهم ويشتركون فى الأموال ويصطحبون فى الأمصار ويعرف المؤمن من الكافر حتى أن المؤمن ليقول للكافر : ياكافر أقضنى حقى وحتى أن الكافر ليقول : يامؤمن اقضنى حقى » .

يقول عبد الله بن عمرو :

– حفظت من رسول الله – ﷺ – حديثاً لم أنسه بعد : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « **إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا »** .

وقال الصادق المصدوق – ﷺ – :

– « **بادروا بالأعمال ستة : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة »** .

قال خاتم الأنبياء – ﷺ –:

– « **بادروا بالأعمال ستا : الدجال والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم »** .

وروى أنها دابة مزغبة شعراء ذات قوائم طولها ستون ذراعا ويقال إنها الجساسة . وقيل إنها على خلقة الأدميين وهى فى السحاب وقوائمها فى الأرض .

وروى أنها جمعت من خلق كل حيوان فرأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن ابل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر – قط – وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا .

قال رسول الله – ﷺ –:

– « **إن الأرض تنشق عن الدابة وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى وإنها تخرج من الصفا فتسم بين عينى المؤمن هو مؤمن سمة كأنها كوكب درى وتسم بين عينى الكافر نكتة سوداء كافر »** .

من أين تخرج الدابة ؟

قال ابن عباس :

– إنها تخرج من شعب فتمس رأسها السحاب ورجلاها فى الأرض لم تخرجا وتخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام .

وقال حذيفة بن أسيد الساعدى :

– تخرج ثلاث خرجات : خرجة فى بعض البوادى ثم تكمن وخرجة فى القرى يتقاتل فيها الأمراء حتى تكثر الدماء وخرجة من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها وأفضلها – يعنى المسجد الحرام –

وقال الزمخشرى :

– تخرج من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة .

وقال قتادة :

– تخرج فى تهامة – أو من بعض أودية تهامة – أو تخرج من مسجد الكوفة حيث فار تنور نوح عليه السلام .

وقال أبو قبيل :

– ضرب عبد الله بن عمرو بن العاص أرض الطائف برجله وقال : من هنا تخرج الدابة التى تكلم الناس .

قال رسول الله – ﷺ –:

– « **تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم** » .

على من تقوم الساعة ؟

وقال رسول الله – ﷺ –:

– « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وهم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشىء إلا رده عليهم** » .

وقال – ﷺ –:

– « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس** » .

قال – ﷺ –:

– « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس من لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا يتهارجون – يتسافدون – كما تتهارج – تتسافد – الحمر** » .

وسمعت أم المؤمنين عائشة رسول الله - ﷺ - يقول :
« لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » .

فقالت بنت أبى بكر :

- يارسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل : **﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾**[1] أن ذلك تام - عام -

قال الصادق المصدوق - ﷺ - :

- **« إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من إيمان - مثقال حبة خردل من إيمان - فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم »** .

وقال - ﷺ -:

- **« لا يزداد الناس إلا شحا ولا يزداد الزمان إلا شدة ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس »** .

ودخل رسول الله - ﷺ - وهو يقول :

- **« ياعائشة قومك أسرع أمتى لحاقا بى »** ..

فلما جلس أبو القاسم - ﷺ - قالت عائشة :

- يارسول الله جعلنى الله فداك لقد دخلت وأنت تقول كلاما أذعرنى .

قال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« وماهو ؟ »** .

قالت أم المؤمنين عائشة :

- تزعم أن قومى أسرع أمتك لحاقا بك .

قال الصادق المصدوق - ﷺ - :

- **« نعم »** .

فتساءلت عائشة :

- وعم ذاك ؟

قال نبى الرحمة - ﷺ - :

« تستجلبهم المنايا » .

---

(1) التوبة : ٣٣ .

فعادت أم المؤمنين تتساءل :

– وكيف الناس بعد ذلك ؟

قال – ﷺ –:

– « دبا – الدبا : الجنادب التى لم تنبت أجنحتها – يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة . ولا تقوم الساعة – القيامة – حتى لا يقال فى الأرض : الله الله » .

قال رسول الله – ﷺ –:

– « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

– « لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله الله » .

فإن الساعة لا تقوم إلا عند ذهاب التوحيد وانقطاع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أى : لا تقوم الساعة على أحد يقول : اتق الله .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سألتهم مَنْ خلَق السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ لَيَقُولُنَّ الله ﴾[1] فإذا أراد الله عز وجل قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الأسم من ألسنة الجاحدين وفجأهم عند ذلك الحق اليقين .

وهو قوله عليه الصلاة والسلام :

– « لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول : الله » .

وفى الخبر : إن الله تعالى يقول لاسرافيل عليه السلام :

– « إذا سمعت قائلا يقول : لا إله إلا الله فأخر النفخة أربعين سنة اكراما لقائلها » .

ولا تنفع توبة التائب بعد أن تظهر أشرطة الساعة كطلوع الشمس من مغربها .. قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُم الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْيَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفعُ نَفْساً إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْكَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾[2].

قال رسول الله – ﷺ –:

– « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فلذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .

---

(١) لقمان : ٢٥ .   (٢) الأنعام : ١٥٨ .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ثم قرأ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ ».

وقال - ﷺ -:

- « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها والدخان ودابة الأرض ».

يسألونك عن الأهلة

كان العرب تسمى القمر فى ليلة طلوعه هلالا وما لم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا إذا ما استدار وإذا حجز وأضاء فهو قمير . قال شاعرهم — عمر بن أبى ربيعة —:

وقمير بدا ابن خمس وعشر ين له قالت الفتاتان قوما

ثم يستوى لثلاث عشرة منه وهى ليلة السواء ثم ليلة البدر لأربع عشرة ويقال :

— غلام بدر إذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم .

ويقال :

— عين حندرة بدرة — عين حذرة قمرة — إذا كانت كعين الفرس والليالى البيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة والليالى الدرع هى التى تسود صدورها وتبيض سائرها والمحاق إذا ما طلعت عليه الشمس والسواد حين يستتر فيكون خلف الشمس .

ويقال :

— قد حجر القمر إذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ .

ويقال :

— أفتق القمر إذا أصابته فرجة من السحاب فخرج — وأفتق علينا فأبصرنا الطريق — وكل سواد من الليل حندس والليالى الزهر الليالى البيض — الزهرة : البياض —

والأهلة — جمع هلال — وقد سأل اليهود رسول الله — ﷺ —:

— ما شأنها ؟ ما بال القمر يبدو هلالا ثم يكبر حتى يستدير بدراً ثم يأخذ فى التناقص حتى يرتد هلالا ثم يختفى ليظهر من جديد ؟

وتساءلوا :

— مابالها تصنع هذا ؟

وتساءل الناس :

— يارسول الله لم خلقت الأهلة ؟

وقال معاذ بن جبل :

– يارسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يستوى ويستدير ثم ينقص حتى يعود كما كان ؟

فأنزل السميع العليم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾[1].

وقيل إن سبب نزول هذه الآية سؤال قوم من المسلمين النبى – ﷺ –:

– يارسول الله ما شأن الهلال ؟ وما سبب محاقه وكماله ومخالفته الشمس ؟

ويراد بالأهلة شهورها وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه كما قال :

أخوان من نجد على ثقة والشهر مثل قلامة الظفر

وسمى شهرا لأن الأيدى تشهر بالإشارة إلى موضع الرؤية ويدلون عليه ويطلق لفظ الهلال لليلتين من آخر الشهر وليلتين من أوله وقيل : لثلاث من أوله .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ تبيين لوجه الحكمة فى زيادة القمر ونقصانه وهو زوال الإشكال فى الآجال والمعاملات ويعلم الناس بها حل دينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم ولصومهم وافطارهم .

قال رسول الله – ﷺ –:

– « جعل الله الأهلة فإذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن أغمى عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » .

فالأهلة مواقيت لمعرفة مدة الحمل والأكرية والاجارات إلى غير ذلك من مصالح العباد وقوله تعالى : ﴿ وَالْحَجِّ ﴾ فقد أفرد سبحانه وتعالى الحج بالذكر لأنه مما يحتاج فيه إلى معرفة الوقت وأنه لا يجوز النسىء فيه عن وقته بخلاف ما رأته العرب فإنها كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل العزيز العليم قولهم وفعلهم .

وزيادة القمر ونقصانه وجميع الشهور تصلح لجميع العبادات والمعاملات فمن حلف ليقضين غريمه أو ليفعلن كذا فى الهلال أو رأس الهلال أو عند الهلال ففعل ذلك بعد رؤية الهلال بيوم أو يومين لم يحنث .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ ونظيره فى كتاب الله :

---

(١) البقرة : ١٨٩ .

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهار آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيل وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لتبتغوا فَضْلا مِن رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾[1].

أى علامتين على وحدانية الخالق البارىء بديع السموات والأرض ووجوده وكماله علمه وقدرته وفى الآية إقبال كل واحد من الليل والنهار من حيث لا يعلم وإدباره إلى حيث لا يعلم ونقصان أحدهما بزيادة الآخر وبالعكس آية أيضا وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل ومعنى محونا : طمسنا فقد أمر الله عز وجل جبريل عليه السلام فأمر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء وكان الشمس فى النور والسواد الذى يرى فى القمر من أثر المحو .

يقول عبد الله بن عباس :

– جعل الله الشمس سبعين جزءا والقمر سبعين جزءا فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعله مع نور الشمس فالشمس على مائة وتسع وثلاثين جزءا والقمر على جزء واحد .

وقال ابن عباس :

– خلق الله شمسين من نور عرشه فجعل ما سبق فى علمه أن يكون شمسا مثل الدنيا على قدرها ما بين مشارقها إلى مغاربها وجعل القمر دون الشمس فأرسل جبريل عليه السلام فأمر جناحه على وجهه ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فطمس ضوءه وبقى نوره فالسواد الذى ترونه فى القمر من أثر المحو ولو تركه شمسا لم يعرف الليل من النهار .

وسأل رجل على بن أبى طالب :

– ياأبا الحسن مامعنى قوله تعالى : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ ؟.

فقال على بن أبى طالب :

– يريد بالمحو اللطخة السوداء التى فى القمر ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيتميز به الليل من النهار .

﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً ﴾ أى جعلنا شمسه مضيئة للابصار .. كان العرب يقولون :

– أبصر النهار إذا أضاء وصار بحالة يبصر بها .

فقد جعل الله عز وجل النهار للتصرف فى المعاش ولو لم يفعل ذلك لما

(١) الإسراء : ١٢ .

عرف الليل من النهار ولا كان يعرف الحساب والعدد فاحصاء الأهلة أيسر من احصاء الأيام .

ولا يعول على رؤية الهلال كبيرا أو صغيرا وإنما هو ابن ليلته فقد خرج أصحاب رسول الله - ﷺ - للعمرة فلما نزلوا ببطن نخله - بين مكة والطائف - تراءوا الهلال فقال بعضهم :

- هو ابن ثلاث .

وقال بعض القوم :

- هو ابن ليلتين .

فلقيوا عبد الله بن عباس فقالوا له :

- إنا رأينا الهلال فقال بعض القوم : هو ابن ثلاث وقال بعض القوم : هو ابن ليلتين .

فقال عبد الله بن عباس :

- أى ليلة رأيتموه ؟

قالوا :

- ليلة كذا وكذا .

فقال عبد الله بن عباس :

- إن رسول الله - ﷺ - قال : « إن هذه مدة للرؤية » فهو لليلة رأيتموه .

وكان رسول الله - ﷺ - إذا رأى الهلال قال :

- « الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والأمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله » .

ويقول - ﷺ - :

- « هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك آمنت بالذى خلقك آمنت بالذى خلقك » .

ثم يقول :

- « الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا » .

وكان يقول - ﷺ - :

- « هلال خير ورشد اللهم إنى أسألك من خير هذا اللهم إنى أسألك

من خير هذا اللهم إنى أسألك من خير هذا اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شره اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شره اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شره » .

وكان أبو القاسم - ﷺ - إذا رأى الهلال قال :

- **« اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله »** .

يقول النبى - ﷺ -:

- **« الله أكبر الله أكبر الحمد لله لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وأعوذ بك من شر القدر ومن شر يوم المحشر »** .

ويقول خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله »** .

ويقول الصادق المصدوق - ﷺ - :

- **« اللهم أدخله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والسكينة والعافية والرزق »** .

وينظر النبى - ﷺ - إلى الهلال ويقول :

- **« هلال خير ورشد الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا أسألك من خير هذا الشهر ونوره وبركته وهداه وطهوره ومعافاته »** .

ويقول - ﷺ -:

- **« اللهم اجعله هلال يمن ورشد آمنت بالله الذى خلقك فعدلك فتبارك الله أحسن الخالقين »** .

وكان على بن أبى طالب إذا رأى الهلال قال :

- اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وشر ما بعده .

وللأهلة أهميتها عند صوم رمضان قال رسول الله - ﷺ -:

- **« جعل الله الأهلة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا له ثلاثين يوما »** .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- **« إن الله جعل هذه الأهلة مواقيت فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين »** .

وقال خاتم النبيين - ﷺ -:

- **« أحصوا هلال شعبان لرمضان ولا تخلطوا برمضان إلا أن يوافق ذلك صياما كان يصوم أحدكم وصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوما فإنها ليست تغمى عليكم العدة »** .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ - :

- **« الشهر يكون تسعة وعشرين ويكون ثلاثين فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فأكملوا العدة »** .

قال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« الشهر ثلاثون والشهر تسعة وعشرون فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين »** .

وكان رسول الله - ﷺ - إذا استهل شهر رمضان استقبله بوجهه ثم يقول :

- **« اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والعافية المجللة ودفاع الأسقام والعون على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن اللهم سلمنا لرمضان وسلمه لنا وسلمه منا حتى يخرج رمضان وقد غفرت لنا ورحمتنا وعفوت عنا »** .

ثم يقبل على الناس بوجهه فيقول :

- **« أيها الناس إنه إذا أهل هلال شهر رمضان غلت فيه مردة الشياطين وغلقت أبواب جهنم وفتحت أبواب الرحمة ونادى مناد من السماء كل ليلة هل من تائب ؟ هل من مستغفر ؟ اللهم أعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا حتى إذا كان يوم الفطر نادى مناد من السماء : هذا يوم الجائزة فاغدوا فخذوا جوائزكم »** .

يقول على بن أبى طالب :

- كان رسول الله - ﷺ - إذا استهل شهر رمضان استقبل القبلة بوجهه ثم قال :

- **« اللهم أهله علينا بالأمن والأمانة والسلامة والعافية المجللة ودفاع**

الأسقام والعون على الصلاة والصيام والقيام ولاتوة القرآن اللهم سلمنا لرمضان وسلمه منا حتى ينقضى وقد غفرت لنا ورحمتنا وعفوت عنا » .

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن حال بينكم وبينه سحاب فأكملوا عدة شعبان ولا تستقبلوا الشهر استقبالا ولا تصلوا رمضان بيوم من شعبان »** .

وقال خاتم النبيين - ﷺ -:

- « **إنا أمة أمية لا تكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذاوعقد الابهام فى الثالثة - يعنى تسعة وعشرين يوما -**

ثم قال : والشهر هكذا وهكذا وهكذا - يعنى ثلاثين يوما - » .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **إذا غاب القمر فى الحمرة فهو لليلة وإذا غاب فى البياض فهو لليلتين »** .

وبلغ أمير المؤمنين عمرو بن الخطاب أن قوما رأوا الهلال بعد زوال الشمس فأفطروا فكتب اليهم يلومهم فقال :

- إذا رأيتم الهلال قبل زوال الشمس لتمام ثلاثين فأفطروا وإن رأيتموه بعد زوال الشمس فلا تفطروا .

وكتب الفاروق إلى عتبة بن فرقد :

- إذا رأيتم الهلال من أول النهار فأفطروا فإنه من الليلة الماضية وإذا رأيتموه من آخر النهار فأتموا صومكم فإنه لليلة المقبلة .

يقول أبو وائل :

- أتانا كتاب عمر بن الخطاب : أن الأهلة بعضها أكبر من بعض فإذا رأيتم الهلال نهارا فلا تفطروا حتى يشهد رجلان مسلمان أنهما أهلاه - شاهداه - بالأمس .

وإذا كان الهلال يحدد موعد غرة رمضان فإن الهلال يحدد نهاية رمضان وغرة شوال قال رسول الله - ﷺ -:

- « شهرا عيد لا ينقصان فى كل واحد منهما عيد : رمضان وذو الحجة » .

قال الهادى البشير - ﷺ -:

- «لا يتم شهران ستين يوما » .

وأغمى على قوم من الأنصار فقالوا :

- أغمى علينا هلال شوال فأصبحنا صياما .

فجاء ركب من آخر النهار فشهدوا عند النبى - ﷺ - أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمر النبى - ﷺ - أن يفطروا وأن يخرجوا إلى عيدهم من الغد .

أما قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1].

فالقمر ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة منها بمنزل وهى : الشرطان . البطين . الثريا . الدبران . الهقعة . الهنعة . الذراع . النثرة . الطرف . الجبهة . الخراتان . الصرفة . العواء . السماك . الغفر . الزبانيان . الأكليل . القلب . الشولة . النعائم . البلدة . سعد الذابح . سعد بلع . سعد السعود . سعد الأخبية . الفرغ المقدم . الفرغ المؤخر . بطن الحوت .

فإذا صار القمر فى آخرها عاد إلى أولها فيقطع الفلك فى ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ثم يطلع هلالا فيعود فى قطع الفلك على المنازل وهى منقسمة على البروج لكل برج منزلان وثلث .

فالحمل الشرطان والبطين وثلث الثريا . وللثور ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة ثم كذلك إلى سائرها . وقيل :

- إن الله تعالى خلق الشمس والقمر من نار ثم كسيا النور عند الطلوع فأما نور الشمس فمن نور العرش وأما نور القمر فمن نور الكرسى فذلك أصل الخلقة وهذه الكسوة فأما الشمس فتركت كسوتها على حالها لتشعشع وتشرق وأما القمر فأمر الروح الأمين جناحه على وجهه فمحا ضوءه بسلطان الجناح وذلك أنه روح والروح سلطانه غالب على الأشياء . فبقى ذلك المحو

(1) يس : ٣٩ ، ٤٠ .

على ما يراه الخلق ثم جعل فى غلاف من ماء ثم جعل له مجرى فلكل ليلة يبدو للخلق من ذلك الغلاف قمرا بمقدار ما يقمر لهم حتى ينتهى بدؤه . ويراه الخلق بكامله واستدارته . ثم لا يزال يعود إلى الغلاف كل ليلة شىء منه فينقص من الرؤية والأقمار بمقدار ما زاد فى البدء . ويبتدىء فى النقصان من الناحية التى لا تراه الشمس وهى ناحية الغروب حتى يعود كالعرجون القديم – العذق المتقوس ليبسه ودقته وصفرته ويقال له القنو

وإذا كانت الشمس فى منزل أهل الهلال بالمنزل الذى بعده . ولا يجوز للشمس أن تدرك القمر فتبطل معناه أى لكل واحد منهما سلطان على حياله فلا يدخل أحدهما على الآخر فيذهب سلطانه فإذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء ولا يشبه ضوء أحدهما الآخر وأنهما لا يجتمعان فى السماء ليلة الهلال خاصة أى لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر ولكن إذا غربت الشمس طلع القمر .

ويسألونك عن اليتامى

إن اليتيم هو من مات أبوه من بنى آدم – ومن ماتت أمه من الحيوانات – وهو دون البلوغ وحذر العلى القدير من ظلم اليتيم أو أكل ماله فقال فى محكم كتابه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1] أى بما فيه صلاحه وتثميره وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه بالتجارة فيه فلا تشترى منه ولا تستقرض : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[1] يعنى قوته وقد تكون فى البدن والخبرة والمعرفة .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[2] إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون نارا تتأجج فى بطونهم يوم القيامة .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[3] فلا تسلط عليه بالظلم وادفع إليه حقه واذكر يتمك .

وقال الحق جل وعلا : ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾[4] أى قرابة فإذا كانت الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة كما أن الصدقة على اليتيم الذى لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذى يجد من يكفله .

وقال العليم الحكيم : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾[5] أى يدفع اليتيم – لضعفه وموت والديه – عن حقه فهذا يقهره ويظلمه .

وقال العزيز الخبير : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[6] إذا بلغ اليتامى الحلم فادفعوا إليهم أموالهم كاملة موفرة فقد نهى الله عز وجل ضمها إلى أموالنا ولهذا قال : ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ ، أى لا تتبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو تعط مهزولا وتأخذ سمينا ولا تعط زيفا وتأخذ جيدا فقد كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل

---

(1) الأنعام : ١٥٢ . (2) الأنعام : ١٥٢ . (3) النساء : ١٠ .
(4) الضحى : ٩ . (5) البلد : ١٥ . (6) الماعون : ٢ .
(7) النساء : ١٠ .

مكانها الشاة المهزولة ويقول :

– شاة بشاة .

ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول :

– درهم بدرهم .

فحذرنا الله عز وجل من ذلك لأنه اثم عظيم .

فلما نزل قوله تعالى .. انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله – ﷺ – فنزل قوله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ هُو اصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾[1] فخلطوا طعامهم بطعام اليتيم وشرابهم بشرابه فقد أذن الله جل وعز فى مخالطة الأيتام مع قصد الأصلاح بالنظر اليهم وجواز التصرف فى مال اليتيم تصرف الوصى فى البيع والقسمة وغير ذلك .

هل الرجل ينكح نفسه من يتيمته ؟.

اختلف العلماء فى الرجل ينكح نفسه من يتيمته وقال البعض : ان النكاح بالكفالة أقوى منها بالقرابة وقال البعض : لا يجوز .

وهل يشترى الرجل لنفسه من مال اليتيم ؟

أجاز البعض ذلك وقال أبو حنيفة :

– له ان يشترى مال الطفل اليتيم لنفسه بأكثر من ثمن المثل لأنه إصلاح دل عليه ظاهر القرآن .

وقال الشافعى :

– لا يجوز ذلك فى النكاح ولا فى البيع لأنه لم يذكر فى الآية التصرف بل قال : ﴿ اصْلَاحٌ لَهُم خَيْرٌ ﴾ من غير أن يذكر فيه الذى يجوز له النظر .

ويقول أحمد بن حنبل :

– يجوز للوصى التزويج لأنه اصلاح .

وأكل مال اليتيم من الكبائر فقد حذر خاتم الأنبياء أصحابه يوما فقال :

– « أجتنبوا السبع الموبقات »

---

(١) البقرة : [illegible]

قيل :

- يارسول الله وماهن ؟

قال طبيب القلوب والعقول - ﷺ -:

- « **الشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » .

وسأل الصحابة النبى عليه الصلاة والسلام :

- يانبى الله ما رأيت ليلة أسرى بك ؟

قال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « **انطلق بى إلى خلق من خلق الله كثير رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف فى أحدهم حتى تخرج من أسفله لهم جؤار وصراخ قلت : ياجبريل لمن هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » .

وقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « **يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا** » .

فتساءل الصحابة :

- يارسول الله من هم ؟ .

قال الذى لا ينطق عن الهوى - ﷺ -:

- « ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً** ﴾[1].

وقال أبو القاسم - ﷺ - :

- « **أخرج مال الضعيفين : المرأة واليتيم أوصيكم باجتناب مالهما فيحشر آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم** » .

وحض رسول الله - ﷺ - على كفالة اليتيم - كفالة اليتيم : هى القيام بأموره والسعى فى مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله ان كان له مال وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى - فقال :

- « **أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا** » .

---

(١) النساء : ١٠ .

وأشار – ﷺ – بالسبابة – السباحة – والوسطى وفرج بينهما .

وقال خاتم الأنبياء – ﷺ –:

– « **كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة** » .

وأشار رسول الله – ﷺ – بالسبابة والوسطى .. وقوله – ﷺ – : « **له أو لغيره** » .. أى سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيا منه فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخواه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة .

وأقبل رجل إلى رسول الله – ﷺ – يشكو قسوة قلبه فسأله أبو القاسم – ﷺ –:

– « **أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ؟** » .

قال الرجل :

– نعم يارسول الله .

قال النبى – ﷺ –:

– « **ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتقدر على حاجتك** » .

ويحدثنا رسول الله – ﷺ – عن أحب البيوت إلى الله عز وجل فيقول :

– « **إن أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم** » .

وقال الصادق المصدوق – ﷺ – :

– « **والذى بعثنى بالحق نبيا لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم وألان له فى الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله** » .

وأوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام :

– « **يادود كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق وأعلم كما تزرع تحصد – إنك كما تفعل كذلك يفعل معك فلابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة** » .

وقال داود عليه السلام فى مناجاته :

– « **الٰهى ماجزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟** » .

قال تعالى :

– « **جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى – ظل عرش يوم القيامة –** » .

وسأل رجل يعقوب عليه السلام :

– ما الذى أذهب بصرك وحنى ظهرك ؟ .

قال يعقوب عليه السلام :

– « **أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى حنى ظهرى فالحزن على أخيه بنيامين** » .

فأتاه جبريل عليه السلام فقال له :

– « **أتشكو الله ؟** » .

فقال يعقوب عليه السلام :

– « **إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله** » .

فقال جبريل عليه السلام :

– « **الله أعلم بما قلت منك** » .

ثم انطلق جبريل عليه السلام ودخل يعقوب بيته فقال :

– « **أى رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصرى وأحنيت ظهرى فاردد على ريحانتى – يوسف وبنيامين – فأشمه شمة واحدة ثم اصنع بى بعد ماشئت** » .

فأتاه جبريل عليه السلام فقال :

– « **يايعقوب إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول : أبشر فإنهما – ولداه يوسف وبنيامين – لوكانا ميتين لنشرتهما لك لأقربهما عينك ويقول لك : يايعقوب أتدرى لم أذهبت بصرك وأحنيت ظهرك ؟ ولم فعل اخوة يوسف بيوسف مافعلوه ؟** » .

قال يعقوب عليه السلام :

– « **لا** » .

قال جبريل عليه السلام :

– « **إنه أتاك يتيم مسكين وهو صائم جائع وذبحت أنت وأهلك شاة**

فأكلتموها ولم تطعموه ويقول : إنى لم أحب من خلقى شيئا حبى اليتامى والمساكين فاصنع طعاماً وادع المساكين » .

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **فكان يعقوب كلما أمسى نادى مناديه : من كان صائماً فليحضر طعام يعقوب وإذا أصبح نادى مناديه : من كان مفطرا فليفطر على طعام يعقوب** » .

وحثنا نبى الرحمة - ﷺ - على رحمة وإكرام اليتيم فقال :

- « **إياكم وبكاء اليتيم فإنه يسرى فى الليل والناس نيام** » .

ورغب نبى الرحمة - ﷺ - فى اطعام اليتيم والجلوس معه فقال :

- « **ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم شيطان** » .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة اخوانا كما هاتين أختان** » .

وألصق أصبعيه السبابة والوسطى .

وقال الهادى البشير - ﷺ -:

- « **من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر** » .

ودخل المطلب بن عبد الله المخزومى على أم المؤمنين أم سلمة فقالت له :

- يابنى ألا أحدثك بما سمعت من رسول الله - ﷺ - ؟

قال المطلب بن عبد الله :

- بلى ياأمه .

قالت أم سلمة :

- سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **من أنفق على بنتين أو أختين أو ذواتى قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله أو يكفلهما كانتا له سترا من النار** » .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا فى الجنة** » .

ويسألونك عن ذى القرنين

لما عجز مشركو قريش عن مناقشة ومجادلة رسول الله - ﷺ - ودحض أبو القاسم - ﷺ - حججهم وكشف القرآن العظيم خبايا نفوسهم بعثوا عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث إلى أحبار يهود بيثرب فقالا :

- يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول وقد جئنا لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

ورجع النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى مكة فقالا لأشراف قريش :

- يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد فقد أخبرنا أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم .

فبعثت قريش إلى رسول الله - ﷺ - .. فجاءهم فقال النضر وعقبة :

- يامحمد أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ماهى ؟ .

هل كان تحديا ؟ هل كان اختبارا وامتحانا ؟

وأنزل الخبير العليم : ... ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا** ﴾[1].

لقد ذكر الله عز وجل ذا القرنين - كان ملكا من الملوك العادلين - وأثنى عليه فكان غازياً فاتحا مجاهداً محاربا لا يصادف فى طريقة حزنا - مرتفعا من الأرض - إلا سلكه ولا عاليا إلا ظهره ولا عدواً إلا هزمه وكسر سلاحه وقص جناحه لا يبالى فى الجهاد الحر ولا البرد ولا السهل ولا الوعر فقد منحه العزيز القدير السلطان المؤيد المظفر المنصور ومكن له فى أرضه .

لماذا سمى ذا القرنين ؟

---

(١) **الكهف** : ٨٣ - ٨٤ .

قالوا :
– كان له قرنين من نحاس فى رأسه .
وقال بعض أهل الكتاب :
– لأنه ملك فارس والروم .
وقيل :
– لأنه بلغ قرنى الشمس غربا وشرقا وملك ما بينهما من الأرض .
وقال الحسن البصرى :
– كانت له غديرتين من شعر يطافهما فسمى ذا القرنين .
وقيل :
– إنه دعا ملكا جبارا إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه ثم دعا فدق قرنه الثانى فكسره فسمى ذا القرنين .
وسأل أبو الطفيل على بن أبى طالب عن ذى القرنين فقال :
– كان عبدا ناصح الله فناصحه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فسمى ذا القرنين .
لم يكن ذو القرنين نبيا ولا رسولا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا .
وقيل :
– إنه انقرض فى وقته – فى حياته – قرنان من الناس .
وقالوا :
– إنه كان فى رأسه قرنان كالظلفين وهو أول من لبس العمامة ليسترها .
وقيل :
– لقب بذلك لشجاعته كأنه ينطح أقرانه .
وعن النبى – ﷺ –:
– « سمى ذا القرنين لبلوغه قرنى الدنيا أى شرقها وغربها » .

ما اسم ذى القرنين ؟ .

كما اختلف فى سبب تسميته ذى القرنين اختلف فى اسمه .
قال عبد الله بن عباس :
– اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد .

وقيل :

– هو مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد ابن عون – غوث – بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبالا بن قحطان .

وقيل إنه كان من حمير وأمه رومية وأنه يقال له : ابن الفليسوف لعقله ..

وقد أنشد بعض الحميريين فى ذلك شعراً بكونه أحد أجداده فقال :

فقد كان ذو القرنين جدى مسلـ ـما ملكا تدين له الملوك وتحشد
بلغ المشارق والمغارب يبتغى أسـ ـباب أمر من حكيم مـرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها فى عين ذى خلب وثأط حرمد
من بعده بلقيس كانت عمـ ـتى ملكتهم حتى أتاها الهدهد

وقال السهيلى :

– كان اسمه مرزبان بن مرزبه .

وقال ابن هشام :

– اسمه الصعب بن ذى مرثد وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام فى بئر السبع .

وقيل :

– إنه أفردون بن أسفيان الذى قتل الضحاك .

فهل كان أفردون ذا القرنين صاحب خليل الرحمٰن الذى ذكره الله تعالى فى كلامه العزيز ؟ لقد ذلل أفردون الفيلة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الاوز والحمام وعمل الترياق ورد المظالم وأمر الناس بعبادة الله والإحسان والإنصاف ورد على الناس ما كان الضحاك قد غصبه من الأرض وغيرها وكان أول من نظر فى عالم الطب .

وفى خطبة قس بن ساعدة :

– يامعشر أيادين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان ذلك كالحظة عين .

ثم أنشد هشام اللاعشى :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا بالجنو فى جدث أشم مقيما

وقال الدار قطنى وابن ماكولا :

– ان اسمه هرمس .

ويقال :

– هرويس بن قبطون بن رومى بن لنطى بن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح .

وقال قتادة :

– اسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح .

وهو الذى قتل دارا بن دارا – كان دارا أخا الأسكندر لأبيه فجمع بعد هلك دارا ملك دارا فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة وذل الفرس وأوطأ أرضهم .

وأقام ذو القرنين فيها حاجة — خوفا يطوف على اللظى المتوقد
إذا كان ذو القرنين جدى مسلـ — ـما فمتى تراه له المقاول تسجد
طاف المشارق والمغارق عالما فى — عين ذى خلب وثأط حرمد
فلقد أذل الصعب صعب زما — نه وأناط قوة عزه بالفرقـد

وسأل معاوية بن أبى سفيان عبد الله بن عباس :

– ما الخلب والثأط والحرمد ؟

فقال ابن عباس :

– الخلب : الحمأة والثأط : ما تحتها من الطين والحرمد : ما تحته من الحصى والحجر .

وقيل :

– ان الخضر عليه السلام صاحب لوائه الأعظم .

وقيل :

– لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شريف من قبل أبيه وأمه .

وقيل :

– إنه كان يقاتل بيديه وركابيه جميعا .

وقيل :

– إنه أعطى علم الظاهر والباطن .

وقيل :
- إنه دخل الظلمة والنور .
ورأى ذو القرنين رؤيا فقال لقومه :
- إنى حلمت حلما رأيت أنى دنوت من الشمس حتى أخذت بقرنيها فى شرقيها وغربيها .
فقالوا :
- أنت ذو القرنين .
وقد تنازع الناس فيه من رأى أنه سمى بذى القرنين لبلوغه أطراف الأرض وأن الملك الموكل بجبل ق - قاف - سماه بهذا الأسم .
ولا يهمنا ما اسمه ؟ ولكن يهمنا أن الله عز وجل أتاه من كل شيء علما يتسبب به إلى ما يريد﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾[1] أى اتبع من الأسباب التى أوتيها ومكن له الله سبحانه وتعالى فى الأرض .
تقدم ذو القرنين ومعه ستمائة ألف رجل فهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم واستعمل على مملكة فارس رجالا وسار قدما إلى أرض الهند فتلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحاب ذى القرنين عنها فتراجع ذو القرنين عن أرض الهند وأمر بإتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها .. ثم عاد ذو القرنين إلى أرض الهند فخرج إليهم ملك الهند فأمر ذو القرنين بتلك الفيلة فملئت بطونها من النفط والكبريت وجرت على العجل إلى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه فلما نشب القتال أمر ذو القرنين بإشعال النار فى تلك الفيلة فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة إلى الهند فانهزم أهل الهند بين يديها وقتل ملك الهند .
ونزل ذو القرنين على مدينة حصينة وكان بها كثير من الأقوات وبها عيون ماء فعاد عنها وأرسل إليها قوما على هيئة التجار ومعهم أمتعة يبيعونها وأمرهم بمشترى الطعام والمغالاة فى ثمنها فإذا صار عندهم أحرقوه وهربوا .. ففعلوا ذلك وهربوا إلى ذى القرنين فأرسل السرايا إلى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة أخرى فهربوا ودخل أصحاب ذى القرنين المدينة .

(١) **الكهف** : ٨٥ .

وفتح ذو القرنين مدن الهند وخرب بيوت الأصنام وأحرق كتب علومهم وأتى ذو القرنين على أمة من الأمم ليس بأيديهم شىء يستمتع به النفس من دنياهم فقد حفروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الأرض فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فذهب رسول ذى القرنين إلى ملكهم وقال له :

– أجب ذا القرنين .

فقال الملك :

– مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتنى .

فرجع رسول ذى القرنين إليه وأخبره فقال :

– صدق .

وذهب ذو القرنين إليه فلما أقبل إليه سأله :

– أرسلت إليك لتأتينى فأبيت فهاأنا قد جئتك .

فقال الملك :

– لو كان لى إليك حاجة لأتيتك .

فتساءل ذو القرنين :

– مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها ؟ .

فتساءل الملك :

– وما ذاك ؟ .

قال ذو القرنين :

– ليس لكم دنيا ولا شىء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما ؟ .

فقال الملك :

– إنما كرهناهما لأن أحدا لم يعط منهما شيئا الا تاقت نفسه ودعته إلى ماهو أفضل منه .

فعاد ذو القرنين يتساءل :

– ما بلكم قد احتفرتم قبورا فإذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها ؟ .

قال الملك :

– أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل .

قال ذو القرنين :

– وأراكم لاطعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها ؟ .

قال الملك :

– كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها ورأينا فى نبات الأرض بلاغا وإنما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأى ما جاوز الحنك من الطعام لم تجد له طعما كائنا ما كان من الطعام .

ثم مد ملك، تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة وتساءل :

ياذا القرنين أتدرى من هذا ؟

فهز ذو القرنين رأسه وقال :

– لا .. ومن هو ؟

قال الملك :

– ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فغشم وظلم فلما رأى الله سبحانه وتعالى ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته .

ثم تناول جمجمة أخرى بالية وتساءل :

– ياذا القرنين أتدرى من هذا ؟

فقلب ذو القرنين كفيه وقال :

– لا أدرى ومن هذا ؟

قال الملك :

– هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه حتى يجزيه به فى آخرته .

ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين فقال :

– وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع ؟

فقال ذو القرنين :

– هل لك فى صحبتى ؟ فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما أتانى الله من هذا المال ؟ .

قال الملك :

– ما أصلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعا .

فتساءل ذو القرنين :

– ولم ؟ .

قال الملك :

– يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعادينى لذلك وما عندى من الحاجة وقلة الشىء .

فانصرف ذو القرنين عنه متعجبا ومتعظا به .

وسار ذو القرنين من الهند إلى الصين .. فأتاه حاجبه فى الليل فقال :

– هذا رسول ملك الصين .

فأحضره فسلم وطلب الخلوة .. ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا فخرج من كان عند ذى القرنين فقال :

– أنا ملك الصين جئت أسألك عن الذى تريده فإن كان مما يمكن عملته وتركت الحرب .

فقال ذو القرنين :

– ما الذى آمنك منى ؟

فقال ملك الصين :

– علمت أنك عاقل حكيم و لم يكن بينى وبينك عداوة ولا ذحل – حقد ويقال طلب بذحله أى بثأره – وأنت تعلم أنك إن قتلتنى لم يكن قتلى سببا لتسليم أهل الصين ملكى إليك ثم إنك تنسب إلى الغدر .

فعلم ذو القرنين أن ملك الصين عاقل فقال له :

– أريد منك ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف الارتفاع لكل سنة .

قال ملك الصين :

– قد أجبتك .. ولكن أسألنى كيف حالى ؟

فقال ذو القرنين :

– كيف حالك ؟

قال ملك الصين :

– أكون أول قتيل لمحارب وأول أكلة لمفترس .

فقال ذو القرنين :

– فإن قنعت منك بإرتفاع سنتين ؟

قال ملك الصين :

– يكون حالى أصلح قليلا .

فتساءل ذو القرنين :

– فإن قنعت منك بإرتفاع سنة ؟

فقال ملك الصين :

– يبقى ملكى وتذهب لذاتى .

فقال ذو القرنين :

– وأنا أترك لك مامضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك ؟

قال ملك الصين :

– يكون السدس للفقراء ومصالح البلاد والسدس لى والثلث للعسكر والثلث لك قد قنعت منك بذلك .

فشكر وعاد إلى الصين .. فلما سمع العسكر بذلك فرحوا بالصلح .

ولما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر ذى القرنين فركب ذو القرنين والناس ..

وظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج فسأله ذو القرنين :

– أغدرت ؟ .

فقال ملك الصين :

– لا ولكن أردت أن تعلم أنى لم أطعك من ضعف ولكنى لما رأيت العلم العلوى مقبلا عليك أردت طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك .

فقال ذو القرنين :

– لا يسأم – نستأم – مثلك الجزية فما رأيت بينى وبينك من يستحق

الفضل والوصف بالعقل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك .

فقال له ملك الصين :

– فلست تخسر .

وبعث إليه بضعف ما كان قرره له .

وسار ذو القرنين عن ملك الصين من يومه : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[1]

هل قال العزيز الحكيم : ياذا القرنين ؟ يجوز أن يكون الله عز وجل خاطبه على لسان نبى فى وقته ويجوز أن يكون قد قال له هذا كما قال لنبيه – ﷺ – : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾[2].

وسار ذو القرنين إلى عين الحياة وجعل الخضر عليه السلام على مقدمة جيشه فوجد قوما هاله كفرهم وكبر عليه ظلمهم وطغيانهم فقد عثوا فى الأرض وأكثروا فيها الفساد وسفكوا الدماء استجابة للشيطان وجريا وراء نوازع النفوس فاستخار الله فى أمرهم وما يصنع بهم وخيره بين هذين كما خير أبا القاسم – ﷺ – فقال : ﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾[3].

فقد خير الله عز وجل ذا القرنين بين سبيلين يختار أحدهما ويسلك ما يريد منهما : اما أن يذيقهم القتل ويوقع بهم النكال جزاء لكفرهم وطغيانهم وإما أن يمهلهم ويدعوهم فلعل منهم من يهتدى فاختار ذو القرنين الامهال على القتل والحسنى على الأثخان – إذا أكثر الإنسان فى الأرض قتلا –

وأقام ذو القرنين فيهم مدة ضرب على يد الظالم ونصر المظلوم وأخذ بيد الضعيف وأقام عمود العدل ونشر لواء الإصلاح .

ثم بدا لذى القرنين أن يثنى عنان عزمه إلى الشرق فسار مجاهدا منصورا موفقا حتى انتهى إلى غاية العمران فى الأرض فوجد قوما تطلع عليهم الشمس ولكن ليس لهم بيوت تسترهم أو أشجار تظلهم وقد اختلف فى هذه الأمة

(١) الكهف : ٨٦ – ٨٩ . (٢) محمد : ٤ . (٣) المائدة : ٤٢ .

فقيل إنها : منسك وقيل : الزنج وقيل : تاوس وهاويل ومنسك وهم قوم كانوا على الفوضى والجهل حفاة عراة عماة عن الحق يتسافدون مثل الكلاب ويتهارجون تهارج الحمر وقيل : إنهم أهل جابلق وهم من نسل مؤمنى عاد الذين آمنوا بهود ويقال لهم بالسريانية مرقيسا : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَل لَهُمْ مِن دُونِهَا سِتْراً * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾[1].

وبسط ذو القرنين عليهم وعلى بلادهم لواء حكمه وأضاء عليهم بنور علمه ورأيه .

ولما فرغ ذو القرنين من بلاد الشرق والغرب وما بينهما قصد بلاد الشمال غازيا مجاهدا مظفراً منصوراً حتى انتهى إلى بلاد بين جبلين سكنها أقوام لا تكاد تعرف لغاتهم أو يفهم فى الحديث مرماهم فقد جاوروا يأجوج ومأجوج ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[2].

كانوا بين جبلين من قبل أرمينية وأذربيجان .. ولكن كيف فهم ذو القرنين كلامهم وكيف فهموا كلامه ؟ .

قال له أمة من الإنس صالحة :

– لقد جاوروا يأجوج ومأجوج وهم قوم فى الأرض مفسودن – أكل بنى آدم والظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الأفساد المعلوم من البشر – وأوزاع من الخلق ضالون مضلون . فلما رأوا ذا القرنين ملكا قويا شديد المراس واسع السلطان كثير الأعوان فزعوا إليه وطلبوا منه أن يقيم بينهم وبين جيرانهم يأجوج ومأجوج سدا يفصل بلادهم ويحول دون عدوانهم – كان يأجوج ومأجوج قوما قد ركب الشر نفوسهم جبلة وامتزج الفساد بين جوانبهم خلقه السيف لا يمكنه أن يردعهم والنصح محال أن ينفعهم –

(١) الكهف : ٩٠ – ٩١ .
(٢) الكهف : ٩٢ – ٩٥ .

من هم يأجوج ومأجوج ؟ :

سأل الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود :

- يارسول الله من هم يأجوج ومأجوج ؟ .

قال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف أمة كل أمة لا يعلم عددها إلا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح »** .

قيل :

- يا رسول الله صفهم لنا

قال طبيب القلوب والعقول - ﷺ -:

- **« هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز - شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع - وصنف عرضه وطوله سواء نحوا من الذراع وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخرسان ويشربون أنهار الشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس »** .

وقال - ﷺ -:

- **« ولد لنوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان - الأفارقة - »** .

إذن فيأجوج ومأجوج من الترك وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم وهما من ذرية يافث بن نوح أبى الترك .

وقد ثبت فى الصحيحين أن الله تعالى يقول : **«ياآدم فيقول : لبيك** وسعديك فيقول : ابعث بعث النار فيقول : وما بعث النار ؟ **فيقول : من** كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال : إن فيكم أمتين ما كانتا فى شىء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج » .

قال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب وحام أبو السودان ويافث أبو الترك - سمى هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة والا فهم أقرباء أولئك ولكن كان أولئك بغى وفساد وجرأة » .

وقال أبو سعيد الخدرى :

- هم خمس وعشرون قبيلة من وراء يأجوج ومأجوج .

ثم حكى العزيز الحكيم عن أهل ما بين السدين أنهم قالوا لذى القرنين : ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[1]؟

أرادوا أن يجعلوا لذى القرنين أجرا عظيما يعنى أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطوه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا - الخراج اسم لما يخرج من الفرائض فى الأموال - فقال ذو القرنين بعفة وصلاح وقصد للخير :

- ﴿ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ﴾[2].

ما بسطه الله تعالى لى من القدرة والملك والتمكين خير لى من خرجكم وأموالكم كما قال سليمان عليه السلام :

- ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِىَ اللَّهُ خَيْرٌ مما آتاكم بَلْ أَنْتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾[3].

لقد طلب ذو القرنين منهم أن يعينوه بقوة الأبدان أى برجال والآلة التى يبنى بها الردم وهو السد فلو جمعوا له مالا وخرجا لم يعنه أحد ولوكلوه إلى البنيان فمعونتهم بأنفسهم أجمل به وأسرع .. فحشدوا له الحديد والنحاس والخشب والفحم فوضع بين الجبلين قطع الحديد : ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾[4] أى وضع بعضه على بعض من الأساس حتى حاذى به رءوس الجبلين طولا وعرضا أحاط الحديد بالخشب والفحم ثم أجج عليه النار حتى صار كله نارا قال :

- ﴿ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾[5].

فأفرغ عليه النحاس المذاب فاستوى كل ذلك بين الجبلين سدا منيعا قائماً ما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تعلو عليه لملاسته أو تنقبه لمتانته فأراح

---

(١) الكهف : ٩٤ . (٢) الكهف : ٩٥ .
(٣) النمل : ٣٦ . (٤) الكهف : ٩٦ . (٥) الكهف : ٩٧ .

الله منهم شعبا كان يشكو من أذاهم وفسادهم – كانوا يقتلون الناس ويأكلون لحومهم وكانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون لهم شيئا أخضر – ويألم من عداوتهم .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وما اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[1].

فأخبر المولى جل وعلا عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله .. ولما رأى ذو القرنين السد منيعا حصينا هتف من أعماق قلبه :

– ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ من رَبِّى فإذا جاء وَعْدُ ربى جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِى حَقًّا ﴾[2].

قال رسول الله – ﷺ –:

– « إن يأجوج ومأجوج يحفران السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس حفروا حتى كادوا يرون شعاع الشمس قال : ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى فاستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع عليها الدم – وعليها كهيئة الدم – فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفاً فى رقابهم فيقتلهم بها » .

وقال – ﷺ –:

– « والذى نفس محمد بيده ان دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم » .

وقال على بن أبى طالب :

– وصنف منهم فى طول شبر لهم مخالب وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئاب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام احداها وبرة يشتون فيها والأخرى جلدة يصيفون فيها ويحفرون السد حتى كادوا ينقبونه

(1) الكهف : ٩٧ . (2) الكهف : ٩٨ .

فيعيده الله كما كان فيقولون : ننقبه غداً إن شاء الله تعالى فينقبونه ويخرجون ويتحصن الناس بالحصون فيرمون إلى السماء فيرد السهم عليهم ملطخا بالدم ثم يهلكهم الله تعالى بالنغف فى رقابهم .

وقال - ﷺ -:

- « **يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذا يأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده** » .

وقال تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مَن كُلِّ حَدبٍ يَنسِلُون ..** ﴾[1]

حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج رأيتهم يسرعون من كل شرف يقبلون لكثرتهم ينسلون من كل ناحية .

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل : ﴿ وهم من كل حدب ينسلون ﴾ فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حين أن بعضهم يمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى أن من بعدهم يمر بذلك النهر فيقول : قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد فى حصن أو مدينة قال قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبينما هم على ذلك بعث الله عز وجل دودا فى أعناقهم كنغف الجراد الذى يخرج فى أعناقه فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون : ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ؟ فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى : يامعشر المسلمين ألا أبشروا ان الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شىء من النبات أصابته قط** » .

---

(١) الأنبياء : ٩٦ .

ولما فرغ ذو القرنين من أمر السد دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالى - الشمس جنوبية فلهذا كانت ظلمة وإلا فليس فى الأرض موضع إلا تطلع الشمس عليه أبدا - فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين الخلد فسار فيها ثمانية عشر يوما ثم خرج ولم يظفر بها وكان الخضر عليه السلام على مقدمته فظفر بها وسبح فيها وشرب منها .. والله أعلم .

لم يجمع ملك الأرض إلا لثلاثة ملوك : نمرود وذى القرنين وسليمان بن داود . وكان ذو القرنين ملك بعد النمرود بن كنعان وكان رجلا مسلما صالحا وكان يفتح المدائن ويجمع الكنوز فمن ابتعه على دينه وتابعه عليه وإلا قتله .

ورجع ذو القرنين إلى العراق فمات فى طريقه بشهر زور فدفن فى تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلى بالصبر لئلا يتغير وطاف به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم ممن كان يجمعهم ويستريح إلى كلامهم فوقفوا عليه فقال كبيرهم :

- ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا .

ووضع يده على التابوت وقال :

- أصبح آسر الأسراء أسيرا .

وقال آخر :

- هذا الملك كان يخبأ الذهب فقد صار الذهب يخبأه .

وقال ثالث :

- ما أزهد الناس فى هذا الجسد وما أرغبهم فى التابوت .

وقال آخر :

- من أعجب العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لا هون مغترون .

وقال آخر :

- هذا الذى جعل أجله ضمارا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك بل هلا حققت من أملك - خففت من أملك - بالامتناع من وفور أجلك - من وقت أجلك -؟.

وقال آخر :

- أيها الساعى المنتصب جمعت ما خذلك عند الاحتياج إليه فغودرت

عليك أوزاره وفارقت آثامه فجمعت لغيرك واثمه عليه .
وقال آخر :
– قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر .
وقال آخر :
– رب هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك .
وقال آخر :
– رب حريص على سكوتك إذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلم .
وقال آخر :
– كم أماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت .
وقال صاحب كتب الحكمة :
– قد كنت تأمرنى أن لا أبعد عنك فاليوم لا أقدر على الدنو منك .
وقال آخر :
– هذا يوم عظيم أقبل من شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك .
وقال آخر :
– ياعظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب .
وقال آخر :
– يامن ضاقت عليه الأرض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك بما احتوى عليك منها ؟ .
وقال آخر :
–اعجبوا ممن كان هذا سبيله الجمع الحافل والملقى الفاضل لا ترغبوا فيما لايدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغى والفساد .
وقال آخر :
– يامن كان غضبه – غصبه – الموت هلا غصبت على الموت .

وقال آخر :

- قد رأيتم هذا الملك الماضى فليتعظ به هذا الملك الباق .

وقال آخر :

- إن الذى كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت .

وقال آخر :

- سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته .

وقال آخر :

- مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل بملك الأرض بل مالك لا تغرب عن ضيق المكان الذى أنت فيه وقد كنت ترغب عن رحب البلاد ؟ .

وقال آخر :

- إن دنيا يكون هذا فى آخرها فالزهد أولى أن يكون أولها .

وقال صاحب مائدته :

- قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا أرى عميد القوم .

وقال صاحب بيت ماله :

- قد كنت تأمرنى بالإدخار فالى من أدفع ذخائرك ؟ .

وقال آخر :

- هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها فى سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك فى الطلب .

وقالت زوجته :

- ما كنت أحسب أن غالب دارا يغلب فإن الكلام الذى سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكأس الذى شرب به ليشربه الجماعة .

وقالت أمه حين بلغها موته :

- لئن فقدت من ابنى أمره لم يفقد من قلبى ذكره .

أليس فى كلام الحكماء مواعظ حسنة ؟ فهل هناك خير من الموت موعظة ؟! .

وقامت أم ذى القرنين بتنفيذ ما أوصاه ابنها فاتخذت وليمة ونادت فى مملكتها :

– أن لا يتخلف أحد وأن لا يجيب دعوتها من فقد محبوبا أو مات له خليل وليكن ذلك مأتم ذى القرنين بالسرور خلاف مأتم الناس بالحزن .

فلما ورد نعى ذى القرنين نادت فى أهل مملكتها على مابه أمرت .. فلم يجب أحد دعوة أم ذى القرنين ولا بادر أحد إلى ندائها فعجبت وسألت خدمها وحشمها :

– ما بال الناس لم يجيبوا دعوتى ؟

فقالوا لها :

– أنت منعتهم من ذلك .

فتساءلت فى دهش :

– وكيف ؟ .

قال الخدم والحشم :

– أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس منهم أحد إلا وقد أصابه بعض ذلك .

فلما سمعت أم ذى القرنين ذلك قالت :

– ياذا القرنين ما أشبه أواخرك بأوائلك .

ثم أمرت فجعلت ابنها فى تابوت من المرمر وأخرجته من تابوت الذهب .

فهل خشيت أم ذى القرنين من الملوك الذين سيأتون بعده أن لا يتركوا ابنها فى ذلك الذهب ؟ .

يسألونك ماذا ينفقون

كان أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام يسألون خاتم الأنبياء - ﷺ - عن كل شيء صغر أو كبر من أمور دينهم وكانوا إذا استحيوا من سؤاله انتظروا حتى قدم الأعراب وكان فيهم جرأة فيسألون أبا القاسم - ﷺ - واستشاط اليهود غيظا وقالوا :

- إن محمدا لم يترك شاردة أو واردة إلا علمها أصحابه حتى غسل أدبارهم .

وقبل أن تفرض الزكاة على المسلمين كان الصحابة يسألون :

- يانبى الله ماذا ننفق ؟ .

من أى نوع من مالهم ينفقون ؟ وأى قدر وأية نسبة مما يملكون ؟ ماهى الوجوه التى ينفقون فيها ؟ وأين يضعون مالزم إنفاقه ؟ .

فنزل قوله تعالى : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم** ﴾[1].

وكان أصحاب رسول الله - ﷺ - لديهم رغبة جياشة فى معرفة حكم العقيدة فى كل شيء من شؤون حياتهم اليومية كى يطابقوا بين تصرفهم وحكم العقيدة وهذه آية المسلم : أن يتحرى حكم الإسلام فى الصغيرة والكبيرة من شؤون حياته لا يقدم على عمل حتى يستيقن من حكم الإسلام فيه فما أقره الإسلام كان دستوره وقانونه وما لم يقره كان محرما ممنوعاً عليه . فكانت تثار بعض الأسئلة بسبب الحملات الكيدية التى يشنها اليهود والمنافقون والمشركون كذلك حول بعض التصرفات مما يدفع بعض المسلمين ليسأل عنها نبى الإسلام - ﷺ - اما ليستيقن من حقيقتها وحكمتها واما تأثرا بتلك الحملات والدعايات المسمومة فكان القرآن يتنزل فيها بالقول الفصل فيثوب أصحاب رسول الله - ﷺ - والمسلمون فيها اليقين وتبطل الدسائس وتموت الفتن فى مهدها ويرتد كيد الكائدين إلى نحورهم .

---

(1) البقرة : 215 .

فالسؤال عن الانفاق .. مواضعه ومقاديره ونوع المال الذى تكون فيه النفقة .. **﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾** فالانفاق فى مثل الظروف التى نشأ فيها الإسلام كان ضرورة لقيام الجماعة المسلمة فى وجه تحديات ومشاق الحرب التى كانت تواجهها وتكتنفها وكان ضرورة من ناحية التضامن والتكافل بين أصحاب رسول الله - ﷺ - وإزالة الفوارق الشعورية بحيث لا يحس أحد إلا أنه عضو فى ذلك الجسد .. لذلك كان الجواب يبين صفة الانفاق ويحدد أولى مصارفه وأقربها **﴿ قل ما انفقتم من خير ﴾** فالذى ينفق هو خير ،. خير للمعطى وخير للآخذ وخير للجماعة وخير فى ذاته فهو عمل طيب . وعلى المنفق أن يتحرى أفضل ما عنده فينفق منه وخير مالديه فيشارك الآخرين فيه فالإنفاق - نفقة التطوع - تطهير للقلب وتزكية للنفس ثم منفعة للآخرين وعون وتحرى الطيب والنزول عنه للآخرين هو الذى يحقق للقلب الطهارة وللنفس التزكية .

والانفاق يربط بين طوائف من الناس بعضهم تربطه بالمنفق رابطة العصب وبعضهم رابطة الرحم وبعضهم رابطة الرحمة وبعضهم رابطة الإنسانية الكبرى فى إطار العقيدة وكلهم يتجاوزون فى الآية الواحدة : الوالدون . والأقربون . واليتامى والمساكين وابن السبيل وكلهم يتضامنون فى ربط التكافل الاجتماعى الوثيق بين بنى الإنسان فى إطار العقيدة المتين .

لقد جعل الله عز وجل برالوالدين بعد عبادته : **﴿ وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾**[1].

وقال سبحانه : **﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين ﴾**[2].

وهذا الترتيب فى الآية الكريمة تزيده أحاديث رسول الله - ﷺ - تحديداً ووضوحا فقد جاء رجل النبى - ﷺ - فسأله عن مواضع النفقة فقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك »** .

فخير الصدقة ما كان على القريب وفيها صلة الرحم قال رسول الله - ﷺ -:

(١) الإسراء : ٢٣ . (٢) النساء : ٣٦ .

– « **أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح – الذى يضمر عداوته فى كشحه وهو خصره –** » .

فأفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم المضمر العداوة فى باطنه وهو معنى قول رسول الله – ﷺ –: « **وتصل من قطعك** » .

وقد فضل أبو القاسم – ﷺ – الصدقة على الأقارب على عتق الرقاب .. فلما أعتقت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث مولاتها وليدة قال لها :

– أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك .

وواجب على الرجل الغنى أن ينفق على أبويه المحتاجين ما يصلحهما فى قدر حالهما من حاله من طعام وكسوة وغير ذلك ..

جاء رجل النبى – ﷺ – يريد أن يتصدق فقال له :

– « **ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شىء فلأهلك فإن فضل شىء عن أهلك فلذى قرابتك فإن فضل عن ذى قرابتك شىء فهكذا وهكذا** » .

فهذا الترتيب يشى بمنهج الإسلام الحكيم البسيط فى تربية النفس الإنسانية وقيادتها فهو يأخذ الإنسان بفطرته وميوله الطبيعية واستعداداته فقد علم العزيز الحكيم أن الإنسان يحب ذاته فأمره أولا أن يكفيها قبل أن يأمره بالإنفاق على سواها وأباح لها الطيبات من الرزق وحثه على أن يمتع ذاته بها فى غير ترف ولا بذخ ولا مخيلة . فالصدقة لا تبدأ إلا بعد الكفاية ..

يقول الصادق المصدوق – ﷺ – :

– « **خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى** » .

ويقول النبى عليه الصلاة والسلام :

– « **اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول** » .

وجاء رجل بمثل بيضة من ذهب إلى النبى – ﷺ – فقال :

– يارسول الله أصبت هذه من معدن فخذها صدقة ما أملك غيرها .

فأعرض عنه .. فأتاه من قبل ركنه الأيسر فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من خلفه فقال مثل ذلك فأخذها رسول الله – ﷺ – فخذفه – رماه – بها فلو أصابته لأوجعته وقال :

– « **يأتى أحدكم بما يملك فيقول : هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى** » .

ولقد علم العليم الخبير أن الإنسان يحب أفراد أسرته الأقربين أولا عياله ووالديه .. فسار به خطوة فى الإنفاق وراء ذاته إلى هؤلاء الذين يحبهم ليعطيهم من ماله وهو راض فيعول ويكفل أناساهم أقرباؤه الأدنون ان لم يعطوا احتاجوا وأخذهم من القريب أكرم لهم من أخذهم من البعيد وفى الوقت ذاته إشاعة للحب وتوثيق روابط الأسرة والمجتمع .

وما دام المال مال الله أعطاه رزقا لبعض عباده فالله عز وجل صاحب المال الأول قد قرر قسما منه لفئات من عباده يؤديها اليهم من يضع يده على ذلك المال هذه الفئات : الوالدان والأقربون واليتامى والمساكين .

- المسكين : السائل الطواف - وابن السبيل - الضيف .

ولما نزل قوله تعالى : **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم ﴾**[1].

وكان زيد بن سهل بن الأسود - أبو طلحة زوج أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك خادم رسول الله - ﷺ - أكثر الأنصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه حائط - بستان - يسمى بيرحاء وكانت مستقبلة مسجد النبى عليه الصلاة والسلام وكان خاتم الأنبياء - ﷺ - يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أبو طلحة :

- يارسول الله إن الله يقول : **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾** وإن أحب أموالى إلى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث أراك الله .

فقال رسول الله - ﷺ -:

- **« بخ بخ ذاك مال رابح وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها فى الأقربين »** .

فقال زيد بن سهل بن الأسود :

- أفعل بها يارسول الله .

فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه .

(١) آل عمران : ٩٢ .

وقال الفاروق :

– يارسول الله لم أصب مالا قط هو أنفس عندى من سهمى الذى هو بخيبر فما تأمرنى به ؟ .

قال أبو القاسم – ﷺ –:

– « **احبس الأصل وسبل الثمرة** » .

وأقبل زيد بن حارثة بفرس له يقال له سبل وقال :

– اللهم إنك تعلم أنه ليس لى مال أحب إلى من فرسى هذا .

وجاء النبى – ﷺ – فقال :

– « **هذا فى سبيل الله** » .

فقال نبى الرحمة – ﷺ – لابنه اسامة بن زيد بن حارثة :

– « **اقبضه** » .

فكأن زيد بن حارثة وجد – حزن وغضب – من ذلك فى نفسه فقال :

– يارسول الله .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– « **إن الله قد قبلها منك** » .

وكان الخليفة الخامس يشترى أعدالا من السكر ويتصدق بها فقيل له :

– هلا تصدقت بقيمتها ؟ .

فقال عمر بن عبد العزيز :

– لأن السكر أحب إلى فأردت أن أنفق مما أحب .

وقد اختلفوا فى تأويل البر فقيل :

– الجنة .

وقيل :

– البر العمل الصالح

قال رسول الله – ﷺ – : « **عليكم بالصدق فإنه يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة** » .

يسألونك عن الروح

وجد كفار مكة أنفسهم عاجزين عن مجادلة رسول الله - ﷺ - فانطلق النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى يثرب فلقيا أحبار يهود فقالا :

- يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول وقد جئنا لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

فقال أحبار يهود :

- سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإن لم يفعل هو رجل متقول فروا فيه رأيكم .

ورجع شيطانان مكة فأخبرا أشراف قريش .. فبعثت قريش إلى أبى القاسم - ﷺ - فجاءهم فقال النضر وعقبة :

- يامحمد أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ماهى ؟ .

كان تحديا واختبارا .. فأنزل العليم الخبير : ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا** ﴾[1] و ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً** ﴾[1] و ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمْرِ رَبِّي** ﴾[3] فهو أمر عجيب ربانى تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته

وماج مشركو قريش بعضهم فى بعض وبعد أن انصرف رسول الله - ﷺ - وقف عدو الله أبو جهل بن هشام فقال :

---

(۱) الكهف : ۹ : ۱۲ .   (۲) الكهف : ۸۳ : ۸۵ .

– أسمعتم ما أجاب محمد ؟ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى
واللات هذا القول ماهو بالجواب .. أترون أنه عجز وإنه ليس نبى وأنه
متقول ؟ .

فقال عتبة بن ربيعة :

– والله ماهو بعاجز وما كذبكم فى هذا شيئا إن الروح لا يمكن أن تكون
من أمر بشر لقد صدقكم محمد وما كان عليه لو أنه نبى كاذب أن يقول
لكم فى أمر الروح قولا أو يصف لكم وصفا يسكتكم به .

وقال بعض كفار مكة :

– لقد أجاب محمد عما سألناه .

وقال آخرون :

– إنه لم يجب عما سألناه وإنه متقول .

ولما هاجر رسول الله – ﷺ – إلى المدينة كان اليهود له بالمرصاد يكيدون
له ولأصحابه ولرسالته .. وذات يوم كان رسول الله – ﷺ – يسير فى حرث
وهو متكىء على عسيب ومعه عبد الله بن مسعود اذمر باليهود فقال بعضهم
لبعض :

– سلوه عن الروح .

وقال بعضهم :

– لا تسألوه .

ولكنهم قالوا :

– يامحمد ما الروح ؟ .

يقول ابن مسعود :

– فأمسك النبى – ﷺ – فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى إليه
فقمت مقامى .

فلما نزل الوحى قال رسول الله – ﷺ – : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[1].

فتلاوم اليهود وقال بعضهم لبعض معاتبا :

– قلنا لكم لا تسألوه لقد استقبلكم بشىء تكرهونه .

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

وقد اختلف فى الروح المسئول عنه أى روح هو ؟ فقيل :
- هو جبريل .
وقيل :
- هو عيسى .
وقيل :
- القرآن .
وقال على بن أبى طالب :
- هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان فى كل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكل تلك اللغات يخلق الله تعالى مع كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .
وقال عبد الله بن عباس :
- الروح ملك له أحد عشر ألف جناح وألف وجه يسبح الله إلى يوم القيامة .
وقال بعضهم :
- هو ملك من الملائكة بصفة وضعوها من عظم الخلقة .
وذهب أكثر أهل التأويل أن اليهود سألوا أبا القاسم - ﷺ - عن الروح الذى يكون به حياة الجسد . وقال أهل النظر منهم إنما سألوه عن كيفية الروح ومسلكه فى بدن الإنسان وكيف إمتزاجه بالجسم وإتصال الحياة به ؟ وهذا شىء لا يعلمه إلا الله عز وجل .
يقول أبو صالح :
- الروح خلق كخلق بنى آدم وليسوا بنى آدم لهم أيد وأرجل .
فهو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى مبهما له وتاركا تفاصيله ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها .

مامعنى النفس والروح والقلب والعقل ؟ :

القلب : يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف وفى ذلك التجويف

دم أسود هو منبع الروح ومعدنه وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى **الثانى** هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسمانى .

الروح : هو جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهى فيضان النور من المصباح الذى يدار فى زوايا البيت فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب .

والمعنى **الثانى** : هو اللطيفة العامة المدركة من الإنسان وهو الذى أراده الخالق البارىء المصور بقوله : ﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِن أَمْرِ رَبِّى** ﴾ .

النفس : ويراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان فالنفس أصل جامع لصفات مذمومة فى الإنسان لذلك يقولون :

– لابد من مجاهدة النفس وكسرها .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى – ﷺ –:

– « **أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك** » .

والمعنى **الثانى** : النفس المطمئنة – نفس الإنسان وذاته – قال تعالى فى مثلها : ﴿ **يٰأَيَّتها النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلَى رَبِّك رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾[1] أما النفس التى تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه فهى النفس اللوامة قال تعالى : ﴿ **وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾[2] وإن تركت النفس الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الإمارة بالسوء قال تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام أو إمرأة العزيز : ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نفسِى إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾[3].

---

(١) الفجر : ٢٧ – ٢٨ . (٢) القيامة : ٢ . (٣) يوسف : ٥٣ .

العقل : ويراد به العلم بحقائق الأمور فهو صفة العلم الذى محله القلب وقد يراد به المدرك للعلوم وقد يراد به محل الإدراك - المدرك - .

هل النفس والروح شىء واحد أو شيئان متغايران ؟ :

قيل :

- إن مسماهما واحد .

وقيل :

- إنهما متغايران .

وقال الجوهرى :

- النفس الروح .

والنفس فى القرآن تطلق على الذات بجملتها كقوله تعالى : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[3].

وتطلق على الروح وحدها كقول العليم الحكيم : ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ ﴾[5] وقوله سبحانه : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾[6].

وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بإنفراده ولا مع النفس .

وتطلق الروح على القرآن الذى أوحاه الله تعالى إلى رسوله - ﷺ - قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[7] .

وتطلق الروح على الوحى الذى يوحيه العلى القدير إلى أنبيائه ورسله قال سبحانه وتعالى : ﴿ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾[8]. وقال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾[9] وسمى هذا روحا

---

(١) النور : ٦١ . (٢) النحل : ١١١ . (٣) المدثر : ٣٨ .
(٤) الفجر : ٢٧ . (٥) الأنعام : ٩٣ . (٦) النازعات : ٤٠ .
(٧) الشورى : ٥٢ . (٨) غافر : ١٥ . (٩) النحل : ٢ .

لما يحصل به من الحياة النافعة فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان إليهم خير منها وأسلم عاقبة .

وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن وكذلك سميت الروح لما يحصل بها من الحياة .

ومنها الروح والريحان والاستراحة .

وسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها وإما من تنفس النفس بالتحريك فإن العبد كلما نام خرجت منه فإذا استيقظ رجعت إليه فإذا مات خرجت خروجا كليا فإذا دفن عادت إليه فإذا سئل خرجت فإذا بعث رجعت إليه .

فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات .

فالروح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها على الخلق وهى نور من نور الله وحياة من حياة الله .

مامعنى الموت ؟ :

ليس الموت بعدم محض وإنما هو إنتقال من حال إلى حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء فى الدنيا .

رسل الموت :

كان ملك الموت مؤاخيا وصديقا لنبى الله يعقوب عليه السلام وذات يوم جاء ملك الموت صديقه يعقوب عليه السلام فقال له :

– **« أرجو منك مطلبا أرجو أن تحققه لى بحق ما بيننا من أخوة وصداقة »** .

فتساءل ملك الموت :

– **« وماهو ؟ »** .

قال يعقوب عليه السلام :

– **« أن تخبرنى إذا دنا – اقترب – أجلى »** .

فقال ملك الموت :

– « لك منى هذا ولن أرسل إليك رسولا واحدا وإنما سأرسل رسولين أو ثلاثة » .

وبعد أن اتفقا على هذا انصرف ملك الموت .. ثم عاد بعد مدة من الزمن فسأله يعقوب عليه السلام :

– « أزائرا جئت أم قابضا – قابضا روحى – ؟ » .

قال ملك الموت :

– « بل قابضا » .

فنظر يعقوب عليه السلام إلى ملك الموت معاتبا ومتعجبا . إنه لم يرسل إليه رسولا واحدا من تلك الرسل الثلاثة التى اتفق ملك الموت على إرسالها فكيف يقبض روحه الآن ؟ .

قال يعقوب عليه السلام مذكرا ملك الموت :

– « أين رسلك الثلاثة ؟ » .

قال ملك الموت :

– « لقد بعثتها إليك » .

فقلب يعقوب عليه السلام يديه وقال :

– « لم تأت إلى » .

قال ملك الموت مؤكدا :

– « بل جاءتك » .

فتساءل يعقوب عليه السلام :

– « كيف ؟ متى ؟ » .

قال ملك الموت :

– « قد فعلت .. بياض شعرك بعد سواده وضعف بدنك بعد قوته وإنحناء جسمك بعد استقامته هذه رسلى يا يعقوب إلى بنى آدم » .

ذكر الموت والاستعداد له :

قال رسول الله – ﷺ – لأصحابه يوما :

– « أكثروا من ذكر هادم اللذات » .

فقالوا :

– وما هادم اللذات ؟ .

قال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « **الموت** » .

وجاء رجل من الأنصار فسلم على النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

- يارسول الله : أى المؤمنين أفضل ؟ .

فقال الشافع المشفع - ﷺ - :

- « **أحسنهم خلقا** » .

فتساءل الأنصارى :

- فأى المؤمنين **أكيس** ؟ .

قال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعدهم استعدادا أولئك الأكياس** » .

وقال - ﷺ -:

- « **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله** » .

وكان رسول الله - ﷺ - يطلب من أصحابه أن يكثروا من ذكر الموت ويقول :

- « **أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا** » .

وطلب أحد الصحابة من النبى عليه الصلاة والسلام يوما أن يعظه فقال :

- « **كفى بالموت واعظا وكفى بالموت مفرقا** » .

فقيل له :

- يارسول الله : هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ .

قال - ﷺ -:

- « **نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة** » .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات :

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الآله ويودى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد

أين الملوك التى كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد ؟

حوض هنالك مورود بلا كذب   لابد من وِرده يوما كما وردوا

قال تعالى : ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أَحْسَنُ عَملاً ﴾[1] أى أكثركم للموت ذكرا وله أحسن استعدادا ومنه أشد خوفا وحذرا .

هول الموت وكربه :

كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى بإذن الله فقال له بعض بنى إسرائيل :

– إنك تحيى جديد العهد بالموت ولعله لم يكن ميتا فأحى لنا من مات فى الزمن الأول .

فقال عيسى عليه السلام :

– **« اختاروا ما شئتم »** .

فقالوا له :

– أحى لنا سام بن نوح .

فجاء عيسى بن مريم إلى قبر سام بن نوح وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا العزيز الحكيم سام بن نوح وإذا برأسه ولحيته قد ابيضا .. فنظر بعض بنى إسرائيل إليه فى عجب وتساءلوا :

– **« ماهذا الشيب ولم يكن فى زمانك ؟ »** .

قال سام بن نوح :

– **« سمعت النداء فظننت أنها القيامة فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة »** .

فتساءل بنو إسرائيل :

– منذ كم أنت ميت ؟ .

قال سام بن نوح :

– **« منذ أربعة آلاف سنة فما ذهبت عنى سكرات الموت »** .

وذهب خاتم الأنبياء – ﷺ – إلى رجل من الأنصار قد حضرته الوفاة فرأى ملك الموت عند رأسه فقال له :

– **« ارفق بصاحبى فإنه مؤمن »** .

فقال ملك الموت :

– **« أبشر يامحمد فإنى بكل مؤمن رفيق والله يامحمد إنى لأقبض روح**

---

(١) الملك : ٢ .

ابن آدم فإذا صرخ من أهله صارخ قلت : ماهذا الصارخ ؟ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا فى قبضه من ذنب فإن ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا وإن تسخطوا وتجزعوا تأثموا ومالكم عندنا من عتبة وإن لنا عليكم لغيبة ودعوة فالحذر ثم الحذر وما من أهل بيت شعر ولا مدر فى بر ولا بحر الا ولنا التصفح فى وجوههم كل يوم وليلة خمس مرات إنى لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم أنفسهم . والله يامحمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذى يأمرنى بقبضها » .

يقول الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « شدة الموت وكربه على المؤمن من أشد من ثلاثمائة ضربة سيف » .

إن للموت سكرات :

قال تعالى : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** ﴾[1] أى غمرته وشدته فالإنسان ما دام حيا تكتب عليه أقواله وأفعاله ليحاسب عليها ثم يجيئه الموت وهو ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله تعالى وعده وأعده وقيل : الحق هو الموت سمى حقا اما لإستحقاقه وإما لإنتقاله إلى دار الحق .

ولما أحضر أبو بكر أرسل إلى ابنته عائشة فلما دخلت عليه قالت : كما قال الشاعر :

إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

قال رسول الله - ﷺ -:

- « ان العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول : السلام عليك تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة » .

وقال عيسى بن مريم :

- « يامعشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة - يعنى سكرات الموت - فالموت أشد من ضرب السيف ونشر المناشير وقرض المقارض » .

---

(١) ق : ١٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾[1] أى شدائده وسكراته وكرباته .

وقال جل وعلا : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾[2] أى إذا بلغت الروح الحلقوم أى الاحتضار .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾[3] إذا بلغت النفس أو الروح التراق – جمع ترقوة وهى العظام المكتنفة لنقرة النحر وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة –

قال دريد بن الصمة :

ورب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراق

قال رسول الله – ﷺ –:

– « **تحدثوا عن بنى إسرائيل فإنه كانت فيهم أعاجيب .. خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم فقالوا : لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت .. ففعلوا فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه بيضاء أسود اللون خلاشىء بين عينيه أثر السجود فقال : ياهؤلاء ما أردتم إلى ؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت** » .

وسأل الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام :

– « **ياخليلى كيف وجدت الموت ؟** » .

قال إبراهيم عليه السلام :

– « **كسفود محمى جعل فى صوف رطب ثم جذب** » .

قال الرحمن الرحيم :

– « **أما أنا قد هونا عليك ياإبراهيم** » .

ولما صارت روح موسى عليه السلام إلى الله قال له ربه :

– « **ياموسى كيف وجدت الموت ؟** » .

قال كليم الله :

– « **وجدت نفسى كشاة تسلخ بيد القصاب وهى حية – وجدت**

---

(١) الأنعام : ٩٣ . (٢) الواقعة : ٨٣ . (٣) القيامة : ٢٦ .

نفسى كالعصفور الحى حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير » .

سأل عبد الله بن عمرو بن العاص أباه وهو على فراش الموت :

– أبت كنت تقول : عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه فكيف لا يصفه ؟ فصف لنا الموت وعقلك معك .

فقال عمرو بن العاص :

– يابنى الموت أجل من أن يوصف ولكنى سأصف لك منه شيئاً أجدنى كأن على عنقى جبال رضوى وأجدنى كأن فى جوفى شوك السلاء وأجدنى كأن نفسى يخرج من ثقب إبرة .

إن خروج الروح من الجسد كمرور عود به أشواك على ثوب من حرير .

لما كان الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز فى يومه الذى مات فيه قال لمن حوله :

– اجلسونى .

فأجلسوه .. فقال :

– أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت . أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت . أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ولكن لا إله إلا الله .

ثم رفع رأسه فأحد النظر .. فقال الجالسون حوله :

– إنك لتنظر نظرا شديدا ياأمير المؤمنين .

فقال عمر بن عبد العزيز :

– إنى لأرى حضرة ماهم بإنس ولا جن .

وأومأ الخليفة الخامس إليهم :

– أخرجوا .

فخرجوا من القبة وقعدوا حولها وبقى عنده وصيف فسمعوه يقرأ قوله تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** ﴾[1] ما أنتم بإنس ولا جان .

---

(١) القصص : ٨٣ .

ثم خرج الوصيف إليهم فأومأ وقال :
- أدخلوا .
فدخلوا فإذا عمر بن عبد العزيز قد قبض .
ولما سجى محمد بن واسع للموت جعل يقول :
- مرحبا بملائكة ربى ولا حول ولا قوة إلا بالله .
يقول فضالة بن دينار الذى حضر :
- شممت رائحة طيبة لم أشم قط أطيب منها .
ثم شخص محمد بن واسع ببصره فمات .

الموت كفارة لكل مسلم :

قال رسول الله - ﷺ -:
- « **الموت كفارة لكل مسلم** » .
وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:
- « **مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها** » .
وقال - ﷺ -:
- « **من يرد الله به خيرا يصب منه** » .
وفى الخبر المأثور يقول الله تعالى :
- « **إنى لا أخرج أحدا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما فى جسده ومصيبة فى أهله وولده وضيقا فى معاشه واقتارا فى رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذرفان بقى عليه شىء شددت عليه الموت حتى يفضى إلى كيوم ولدته أمه** » .
وهذا بخلاف من لايحبه ولا يرضاه الله عز وجل :
- « **وعزتى وجلالى لا أخرج من الدنيا عبدا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها بصحة فى جسده وسعة فى رزقه ورغد فى عيشه وأمن فى سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقى له شىء هونت عليه الموت حتى يفضى إلى وليس له حسنة يتقى بها النار** » .

وقال رسول الله – ﷺ –:

– **« نفس المؤمن تخرج رشحا وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيتشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزىء بها »** .

وقال أبو الدرداء :

– أحب الموت اشتياقا إلى ربى وأحب المرض تكفيرا لخطيئتى وأحب الفقر تواضعا لربى عز وجل .

الموت مع حسن الظن بالله :

يقول جابر بن عبد الله :

– سمعت رسول الله – ﷺ – قبل وفاته بثلاثة أيام يقول : **« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن »** .

وقال تعالى : **﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾**[1] سئل عمر بن الخطاب عن معنى هذه الآية فقال :

– هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصى ولا يتوبون منها ويتكلمون عن المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفلسين .

وقال قتادة :

– من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل .

ودخل النبى عليه الصلاة والسلام على شاب وهو فى الموت فسأله :

– كيف تجدك ؟ .

قال الشاب :

– أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبى .

فقال رسول الله – ﷺ –:

– **« لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف »** .

وقال الصادق المصدوق – ﷺ –:

– **« لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة »** .

---

(١) فصلت : ٢٣ .

وفى القول المأثور قال تعالى :

- « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء » ..

وقال رسول الله - ﷺ - فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام لربه أنه عز وجل قال :

- « ياموسى إنه لن يلقانى عبد لى فى حاضر القيامة إلا فتشته عما فى يديه إلا ما كان من الورعين فإنى استحييهم وأجلهم فأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب » .

فمن استحيى من الله تعالى فى الدنيا مما صنع استحيى الله تعالى من تفتيشه وسؤاله ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين .

فحسن الظن بالله تعالى ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة .

تلقين الميت لا إله إلا الله :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » .

وقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه مامن عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة » .

وقال الشافع المشفع - ﷺ -:

- « احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف والذى نفسى بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله » .

فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة ودخل الجنة .

ماذا يقال عند التغميض ؟ :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح وقولوا

خيرا فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت » .

المؤمن من يموت بعرق الجبين :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « ارقبوا للميت عند موته ثلاثا : إن رشح جبينه . وذرفت عيناه . وانتشر منخراه فهى رحمة من الله تعالى قد نزلت به . وإن غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وازبد شدقاه فهو عذاب من الله تعالى قد حل به » .

وقد تظهر العلامات الثلاث وقد تظهر واحدة وقد تظهر اثنتان وذلك حسب تفاوت الناس وأعمالهم .

هل تموت الروح أو الموت للبدن وحده ؟ .

قالت طائفة :

- تموت الروح وتذوق الموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت ولا يبقى إلا الله وحده قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] و ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ • وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[2] و ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[3].

وقالوا :

- إذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت قال تعالى عن أهل النار إنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾[4] فالموتة الأولى هذه المشهودة وهى للبدن والأخرى للروح .

وقال آخرون :

- لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله فى أجسادها ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ • فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾[5].

هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت .

---

(١) العنكبوت : ٥٧ . (٢) الرحمن : ٢٧ ، ٢٨ . (٣) القصص : ٨٨ .
(٤) غافر : ١١ . (٥) آل عمران : ١٦٩ -

والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فإن أريد بموتها هذا القدر فهى ذائقة الموت .

خروج روح المؤمن والكافر :

تخرج نفس المؤمن أطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتلقاهم ملائكة من دون السماء فيقولون : « **هذا فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت بمحاسن عمله فيقولون : مرحبا بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعد به من الباب الذى كان يصعد منه عمله فيشرق فى السموات وهو كبرهان الشمس حتى ينتهى به إلى العرش** » .

وأما الكافر فإذا قبض انطلق بروحه فيقولون : « **من هذا ؟ فيقولون : فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت لمساوىء أعماله فيقولون : لا مرحبا ردوه فيرد إلى أسفل الأرض** إلى الثرى » .

وفى ذلك عشر أدلة :

١ - خروج نفسه .

٢ - طيب ريحها .

٣ - إنطلاق الملائكة بها .

٤ - تحية الملائكة لها .

٥ - قبضهم لها .

٦ - صعودهم بها .

٧ - إشراق الشمس لضوئها .

٨ - انتهاؤها إلى العرش .

٩ - قول الملائكة من هذا ؟ وهذا سؤال عن عين وذات قائمة بنفسها .

١٠ - قوله ردوه إلى أسفل الأرضين .

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها إلى السماء فيقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى عليك الله وعلى جسد كنت تعمرينه وذكر المسك ثم يصعد به إلى ربه عز وجل فيقول : ردوه إلى آخر الأجلين** » .

ففيه ستة أدلة :

١ - قوله : تلقاه ملكان .

٢ - قوله : فيصعدانه إلى السماء .

٣ - قول الملائكة : روح طيبة جاءت من قبل الأرض .

٤ - صلاتهم عليها .

٥ - طيب ريحها .

٦ - الصعود بها إلى الله عز وجل .

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« إن المؤمن تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج فيعرج بها حتى ينتهى بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان ابن فلان فيقال : مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج فينتهى بها إلى السماء فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان ابن فلان فيقال : لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء فترسل إلى الأرض ثم تصير إلى القبر »** .

وفيه عشرة أدلة :

١ - قوله : كانت فى الجسد الطيب وكانت فى الجسد الخبيث فهاهنا حال ومحل .

٢ - قوله : اخرجى حميدة .

٣ - قوله : وابشرى بروح وريحان فهذا بشارة بما تصير إليه بعد خروجها .

٤ - قوله : فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء .

٥ - قوله : فيستفتح لها .

٦ – قوله : ادخلى حميدة .

٧ – قوله : حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله تعالى .

٨ – قوله : لنفس الفاجر ارجعى ذميمة .

٩ – فإنه لا تفتح لك أبواب السماء .

١٠ – قوله : فترسل إلى الأرض ثم تصير إلى القبر .

هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم ؟

لما هزم الله قريشا يوم بدر – قتل منهم سبعون من صناديدهم وساداتهم – أمر رسول الله – ﷺ – أن يطرحوا فى القليب – البئر القديمة المهجورة – ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم :

– « **يافلان ابن فلان ويافلان ابن فلان ويافلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا** » .

فتساءل عمر بن الخطاب :

– يارسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا ؟ .

فقال رسول الله – ﷺ –:

– « **والذى بعثنى بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا** » .

وقال الصادق المصدوق – ﷺ –:

– « **إن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه** » .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام إذا مر بمقابر المدينة – البقيع – يقول :

– « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون** » .

وكان نبى الرحمة – ﷺ – يقول :

– « **مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم** » .

الأرواح قسمان :

١ – أرواح معذبة وهى فى شغل بماهى فيه من العذاب عن التزاور والتلاق .

٢ – أرواح منعمة مرسلة غير محبوسة تتلاق وتتزاور وتتذاكر ما كان بينها فى الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح من رفيقها الذى هو على مثل عملها

وروح نبينا محمد - ﷺ - قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] وهذه المعية ثابتة فى الدنيا وفى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاث ..

هل تتلاقى أرواح الموتى وتتزاور وتتذاكر ؟ .

تلتقي أرواح الأحياء كما تلتقى أرواح الأحياء والأموات يقول تعالى :

﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

فأرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت فى منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحى فيصادف خبره كما أخبره فى الماضى والمستقبل وربما أخبره بمال دفنه الميت فى مكان لم يعلم به سواه وربما أخبره بدَيْن عليه وذكر له شواهده وأدلته وأبلغ من ذلك أنه يخبره بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين وربما أخبره عن أمور يقطع الحى أنه لم يكن يعرفها غيره .

التقى الصحابى الجليل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى فقال عبد الله بن سلام :

- إن مت قبلى فألقنى فأخبرنى ما لقيت من ربك وإن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك .

فقال سلمان الفارسى :

- وهل تلتقى أرواح الأموات والأحياء ؟ .

قال عبد الله بن سلام :

- نعم أرواحهم فى الجنة تذهب حيث تشاء .

فمات أحدهما فلقى الآخر فى المنام فقال له :

- توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط .

---

(١) النساء : ٦٩ .   (٢) الزمر : ٤٢ .

يقول ساقى الحرمين العباس بن عبد المطلب :

– كنت أشتهى أن أرى عمر بن الخطاب فى المنام فما رأيته إلا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغى أن كاد عرشى ليهد لولا أن لقيت رءوفا رحيما .

ورأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فسأله :

– ياأمير المؤمنين ليت شعرى إلى أى الحالات صرت بعد الموت ؟ .

قال الخليفة الخامس :

– يامسلمة هذا أوان فراغى والله ما استرحت إلا الآن .

فقال مسلمة بن عبد الملك :

– فأين أنت ياأمير المؤمنين ؟ .

قال عمر بن عبد العزيز :

– مع أئمة الهدى فى جنة عدن .

ورأى عبد الرحمٰن بن غنم معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس أبلق وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول :

– ﴿ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[1].

ثم التفت عن يمينه وشماله يقول :

– يابن رواحة ياابن مظعون ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[2].

ثم صافح عبد الرحمٰن بن غنم وسلم عليه .

ورأى سفيان بن عيينة سفيان الثورى بعد موته يطير فى الجنة من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة وهو يقول :

– ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾[3].

فقال سفيان بن عيينة :

– بما أدخلت الجنة ؟ .

قال سفيان الثورى :

---

(1) يس : ٢٦ ، ٢٧ . (2) الزمر : ٧٤ . (3) الصافات : ٦١ .

– بالورع بالورع .
فقال سفيان بن عيينة :
– فما فعل على بن عاصم ؟ .
قال سفيان الثورى :
– مانراه إلا مثل الكوكب .
ورأى قبيصة بن عقبة سفيان الثورى بعد موته فى المنام فقال له :
– ما فعل الله بك ؟ .
قال سفيان الثورى :

نظرت إلى ربى عيانا فقال لى   هنيئاً رضايا عنك ياابن سعيد
فقد كنت قواما إذا الليل قد دجا   بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر تريده   وزرنى فإنى منك غير بعيد

وكان الصعب بن جثامة وعوف بن مالك متآخين فقال صعب لعوف :
– أى أخى أينا مات قبل صاحبه فليتراءله .
فتساءل عوف بن مالك :
– أو يكون ذلك ؟
قال الصعب بن جثامة :
– نعم .
فلما مات الصعب بن جثامة رآه عوف بن مالك فيما يرى النائم كأنه قد أتاه فقال :
– أى أخى .
قال الصعب بن جثامة :
– نعم .
فتساءل عوف بن مالك :
– ما فعل بكم ؟ .
قال الصعب بن جثامة :
– غفر لنا بعد المصائب .
ورأى عوف بن مالك لمعة سوداء فى عنق الصعب بن جثامة فتساءل :
– أى أخى ماهذا ؟

قال الصعب بن جثامة :

– عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودى فهن فى قرآنى فأعطوه إياها وأعلم ياأخى أنه لم يحدث فى أهلى حدث بعد موتى إلا قد لحق بى خبره حتى هرة – قطة – لنا ماتت منذ أيام وأعلم أن بنتى تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفا .

فلما أصبح عوف بن مالك قال :

– إن فى هذا لمعلما .

وأتى أهل الصعب بن جثامة فقالوا :

– مرحبا بعوف أهكذا تصنعون بتركة اخوانكم ؟ لم تقربنا منذ مات صعب ؟ .

يقول عوف بن مالك :

– فاعتللت بما يعتل به الناس .

ونظر عوف إلى القرآن فأنزله فانتشل مافيه فوجد الصرة التى فيها الدنانير فبعث بها إلى اليهودى .

وسأله :

– هل كان لك على الصعب شيء ؟

قال اليهودى :

– رحم الله صعبا كان من خيار أصحاب رسول الله – ﷺ – هى له .

فقال عوف بن مالك :

– لتخبرنى .

قال اليهودى :

– نعم أسلفته عشرة دنانير فنبذتها إليه .

فقال عوف بن مالك :

– هى والله بأعينها .

يقول عوف بن مالك :

– هذه واحدة .

ثم سأل عوف بن مالك أهل الصعب بن جثامة :

– هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب ؟ .

قالوا :

– نعم حدث فينا كذا حدث .
فقال عوف بن مالك :
– أذكروا .
فقالوا :
– نعم هرة ماتت منذ أيام .
فقال عوف بن مالك :
– هاتان اثنتان .
ثم تساءل عوف بن مالك :
– أين ابنة أخى ؟ .
قالوا :
– تلعب .

فأتى عوف بن مالك بابنة الصعب بن جثامة ومسها فإذا هى محمومة فقال :
– استوصوا بها معروفا .

وماتت ابنة الصعب بن جثامة فى ستة أيام .. كما قيل لعوف بن مالك فى رؤياه .

ولما قبض رسول الله – ﷺ – وولى أبو بكر الخلافة برزت الفتنة بقرنيها وادعى مسيلمة بن حبيب وطليحة بن خويلد وسجاح و .. بعث اليهم الخليفة الأول الجيوش .. فخرج خالد بن الوليد وثابت بن قيس بن شماس – كان خطيب الأنصار وخطيب رسول الله – ﷺ – إلى اليمامة لمحاربة مسيلمة الكذاب .. فلما التقى المسلمون وأصحاب مسيلمة انكشف المسلمون فقال ثابت بن قيس وسالم مولى أبى حذيفة :
– ماهكذا كنا نقاتل مع رسول الله – ﷺ –.

ثم حفر كل منهما حفرة وثبتا وقاتلا حتى استشهدا وكان على ثابت بن قيس درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها . فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت بن قيس فى منامه فقال له :
– إنى أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إنى لما قتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه

فرس يستن فى طوله وقد كفأ على الدرع برمة - قدر من الحجر - وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله - ﷺ - يعنى أبابكر الصديق - فقل له : إن على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان .

فلما أصبح الرجل أتى خالدا فأخبره فبعث أبو سليمان إلى الدرع فأتى بها وحدث الرجل أبا بكر برؤياه فأجاز وصية ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى بعد موته .. ولم تجز وصية أحد بعد موته غير ثابت بن قيس بن شماس .

أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة ؟:

هل هى فى السماء ؟ هل هى فى الأرض ؟ هل هى فى الجنة ؟

هذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها فقال بعضهم :

- أرواح المؤمنين فى الجنة .

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾[1] وقد ذكره سبحانه عقب خروج الروح من البدن بالموت وقسم الأرواح إلى ثلاث أقسام .

مقربين :وأخبر عز وجل أنها فى جنة نعيم .

وأصحاب يمين : حكم لها بالإسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب .

ومكذبة ضالة : وأخبر أن لها نزلا من حميم وتصلية جحيم وهذا بعد مفارقتها للبدن .

كذلك احتجوا بقوله تعالى : ﴿ **يٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِى فِى عِبَادِى * وَادْخُلِى جَنَّتِى** ﴾[2].

قال رسول الله - ﷺ -:

- « لما أخوانكم - يعنى يوم أحد - جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب مدلاة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يتكلموا عن الحرب - لئلا يتركوا

---

(١) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩ .   (٢) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

الجهاد خوفا وزهدا – ولا يزهدوا فى الجهاد ؟ فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم » فأنزل الله تعالى : **﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾**[1].

ولما استشهد حارثة بن سراقة أتت أمه أم الربيع بنت البراء النبى – ﷺ – فقالت له :

– يانبى الله ألا تحدثنى عن حارثة ؟ فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان فى غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب .

فقال رسول الله – ﷺ –:

– **« يأم حارثة إنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى – ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها – »** .

ودخل رسول الله – ﷺ – على أم كبشة بنت المعرور فقالت له :

– يارسول الله حدثنا عن الأرواح .

تقول أم كبشة بنت المعرور :

– **فوصفها صفة أبكى أهل البيت .**

قال رسول الله – ﷺ –:

– **« إن أرواح المؤمنين فى حواصل طير ترعى فى الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مائها وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون : ربنا ألحق بنا إخواننا وائتنا ما وعدتنا وأرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوى إلى جحر فى النار يقولون : ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا »** .

وقالت طائفة :

– الأرواح على أفنية قبورها .

فهل لا تفارق الأرواح أفنية القبور أبدا ؟ هل تكون على أفنية القبور وقتا أولها اشراف على قبورها وهى فى مقرها ؟ .

قال رسول الله – ﷺ –:

– **« إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم »** .

---

(١) آل عمران : ١٦٩ .

وقال الهادى البشير - ﷺ -:

- « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى - يرى مقعده من الجنة أو النار -** » .

وكان رسول الله - ﷺ - إذا مر على القبور قال :

- « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين إنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون** » .

والسلام على أهل القبور وخطابهم لا يدل على أن أرواحهم ليست فى الجنة وإنها على أفنية القبور فهذا سيد ولد آدم الذى روحه فى أعلى عليين مع الرفيق الأعلى - ﷺ - يسلم عليه عند قبره ويرد سلام المسلم عليه .

وقال بعض الناس :

- أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت وأرواح الكفار فى سجين .

إن أرواح المؤمنين فى السماء السابعة وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة يدل عليه قول رسول الله - ﷺ - :

- « **إن الميت إذا روحه عرج بها إلى السماء حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة التى فيها الله عز وجل** » .

وقد قال أبو موسى الأشعرى عن النبى عليه الصلاة والسلام :

- « **إنها تصعد حتى تنتهى إلى العرش** » .

وعن حذيفة بن اليمان قال :

- إنها موقوفة عند الرحمٰن .

وعن عبد الله بن عمر قال :

- إن هذه الأرواح عند الله .

وقال رسول الله - ﷺ -:

- « **إن أرواح الشهداء تأوى إلى قناديل تحت العرش** » .

وعن البراء بن عازب قال :

- إنها تصعد من سماء إلى سماء ويشيعها من كل سماء مقربوها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة - إلى السماء التى فيها الله عز وجل -

ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك بل يصعد بها إلى هناك للعرض على ربها فيقضى فيها أمره ويكتب كتابه من أهل عليين أو من أهل سجين ثم تعود إلى القبر للمسألة ثم ترجع إلى مقرها التى أودعت فيه فأرواح المؤمنين فى عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار فى سجين بحسب منازلهم .

وكان كعب والربيع بن خيثم وخالد بن عرعرة جلوسا فى أناس فجاء عبد الله بن عباس فقال كعب الأحبار :

– هذا ابن عم نبيكم .

فأوسع الحاضرون لابن عباس فجلس فقال عبد الله بن عباس :

– ياكعب كل مافى القرآن قد عرفت غير أربعة أشياء فأخبرنى عنهن ماسجين ؟ وما عليون ؟ وما سدرة المنتهى ؟ وما قول الله لادريس ﴿ **ورفعناه مكانا عليا** ﴾[1]؟

قال كعب الأحبار :

– أما عليون فالسماء السابعة فيها أرواح المؤمنين وأما سجين فالأرض السابعة السفلى وأرواح الكفار تحت جسد إبليس وأما قول الله سبحانه وتعالى لادريس ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًا** ﴾ فأوحى الله إليه إنى رافع لك كل يوم مثل أعمال بنى آدم وكلم صديقا له من الملائكة أن يكلم له ملك الموت فيؤخره حتى يزداد عملا فحمله بين جناحيه فعرج به حتى إذا كان فى السماء السابعة لقيه ملك الموت فكلمه فى حاجته فقال :

وأين هو ؟ قال : هو بين جناحى

قال ملك الموت : فالعجب أنى أمرت أن أقبض روحه فى السماء السابعة فقبض روحه . وأما سدرة المنتهى فإنها سدرة على رءوس حملة العرش ينتهى إليها علم الخلائق ثم ليس لأحد وراءها علم لذلك سميت سدرة المنتهى .

وقال آخرون :

– إن أرواح المؤمنين بالجابية وأرراح الكفار بحضرموت – يقال لها برهوت –

---

(١) مريم : ٥٧ .

يقول عبد الله بن عباس :

– أبغض بقعة فى الأرض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار فيه بئر ماؤها بالنهار أسود كأنه قيح تأوى إليه الهوام – مفردها هامة وهي كل ذى سم يقتل سمه –

وقال الصحابى الجليل سلمان الفارسى :

– أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت وأرواح الكفار فى سجين .

والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين وكأن الصحابى الجليل أراد بها فى أرض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك تذهب حيث شاءت وهذا قول قوى فإنها قد فارقت الدنيا و لم تلج الآخرة بل هى فى برزخ بينهما فأرواح المؤمنين فى برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وأرواح الكفار فى برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالى :

– ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1].

هل تلتقى روح النائم وروح اليقظان ؟

قد يرى النائم غيره من الأحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة فأرواح الأحياء تتلاق فى النوم كما تتلاق أرواح الأحياء والأموات .

قال بعض السلف :

– إن الأرواح تتلاق فى الهواء فتتعارف أو تتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها فى دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ولا يخطىء فيها فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير وشر فى دينه ودنياه ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه وينذره عن معصية ارتكبها أو هم بها ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التى جعلها الله فى الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل أحد طرق ذلك تلاق الأرواح وتذاكرها وتعارفها فكم كانت توبته وصلاحه وزهده وإقباله على الآخرة عن

(١) المؤمنون : ١٠٠ .

منام رآه أو رئى له وكم ممن استغنى وأصاب كنزا دفينا عن منام .

فهذا شيخ قريش عبد المطلب بن هاشم دل فى النوم على زمزم وأصاب الكنز - وجد غزالتين ذهبيتين وسلاحا - كان هناك .

والصحابى الجليل عمير بن وهب أتى فى منامه فقيل له :

- قم إلى موضع كذا وكذا من البيت فاحفر تجد مال أبيك .

وكان وهب الجمحي قد دفن مالا ومات ولم يوص به .. فقام عمير من نومه فاحتفر حيث أمره فأصاب عشرة آلاف درهم فقضى دينه وحسن حاله وحال أهل بيته - كان ذلك عقب إسلامه وعقب غزوة بدر -

فقالت له الصغرى من بناته :

- ياأبت ربنا هذا الذى حيانا بدينه خير من هبل والعزى ولولا أنه كذلك ما ورثك هذا المال وإنما عبدته أياما قلائل .

يقول رسول الله - ﷺ -:

- **« إن الأرواح جنود مجندة تتلاقى فتشأم كما تشأم الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .**

وعن أبى الدرداء :

- إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش فإن كان طاهرا أذن لها بالسجود وإن كان جنبا لم يؤذن لها بالسجود .

هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعى الأحياء ؟؟

إنها تنتفع من سعى الأحياء بأمرين :

١ - ما تسبب إليه الميت فى حياته .. يقول الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« إذا مات الإنسان انقطع عن عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية . أو علم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له » .**

فاستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على أنها منه فإنه هو الذى تسبب إليها .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه ومصحفا ورثه ومسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو**

نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته يلحقه من بعد موته » .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- **« من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء »** .

وذات يوم سأل رجل على عهد رسول الله - ﷺ - فأمسك القوم . ثم إن رجلا أعطاه فأعطى القوم فقال النبى - ﷺ -:

- **« منّ سن خيرا فاستن به كان له أجره ومن أجور من تبعه غير منتقص من أجورهم شيئا ومن سن شرا فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من تبعه غير منقص من أوزارهم شيئا »** .

وقال الهادى البشير - ﷺ -:

- **« لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم - قابيل - الأول كفل منها »** .

الكفل - الضعف أو النصيب - فابن آدم له نصيب من دمها لأنه أول من سن القتل فإذا كان هذا فى العذاب والعقاب ففى الفضل والثواب أولى وأحرى .

٢ - ما تسبب إليه دعاء المسلمين له واستغفارهم له والصدقة والحج .

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء »** .

وصلى رسول الله - ﷺ - على جنازة فقال :

- **« اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله وأغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيراً من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجاً خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار »** .

وصلى خاتم الأنبياء - ﷺ - على رجل من المسلمين يقول الصحابى الجليل واثلة بن الأسقع :

– سمعته يقول : **« اللهم إن فلان ابن فلان فى ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك الغفور الرحيم »** .

يقول ذو النورين :

– كان رسول الله – ﷺ – إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : **« استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبيت فإنه الأن يسأل »** .

وكان أبـو القاسم – ﷺ – يعلم أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا :

– **« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية »** .

وسألت أم المؤمنين عائشة النبى – ﷺ – يوما :

– كيف نقول إذا استغفرت لأهل القبور ؟

قال – ﷺ –:

– **« قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله لمستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون »** .

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام فى ليلتها من آخر الليل إلى البقيع فقال :

– **« السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد »** .

وأما وصول ثواب الصدقة ففى الصحيحين عن عائشة أن رجلا أتى النبى – ﷺ – فقال :

– يارسول الله أن أمى افتلتت نفسها و لم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجران تصدقت عنها ؟ .

قال نبى الرحمة – ﷺ –:

– **« نعم »** .

وتوفيت أم سعد بن عبادة وهو غائب عنها فأتى النبى – ﷺ – فقال :

– يارسول الله ان أمى توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت عنها ؟ .

قال رسول الله – ﷺ –:

– **« نعم »** .

فقال سعد بن عبادة :
- فإنى أشهدك أن حائطى - بستانى - المخراف صدقة عنها .
وسأل رجل النبى عليه الصلاة والسلام :
- إن أبى مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفى عنه أن أتصدق عنه ؟ .
قال الصادق المصدوق - ﷺ -:
- « **نعم** » .
وأما وصول ثواب الصوم إلى الميت فتقول أم المؤمنين عائشة :
- إن رسول الله - ﷺ - قال : « **من مات وعليه صيام صام عنه وليه** » .
وجاء رجل إلى النبى - ﷺ - فقال :
- يارسول الله أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ .
قال الذى لا ينطق عن الهوى - ﷺ -:
- « **نعم فدين الله أحق أن يقضى** » .
وجاءت امرأة إلى رسول الله - ﷺ - فقالت :
- يارسول الله ان أمى ماتت وعليها صوم يوم نذر أفأصوم عنها ؟ .
قال - ﷺ -:
- « **أفرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها ؟** » .
قالت : المرأة :
- نعم .
قال النبى - ﷺ -:
- « **فصومى عن أمك** » .
وبينما كان الصحابى الجليل بريدة بن الحصيب جالسا مع النبى عليه الصلاة والسلام إذ أتته امرأة فقالت :
- يانبى الله إنى تصدقت على أمى بجارية وإنها ماتت .
فقال الهادى البشير - ﷺ -:
- « **وجب أجرك** » .

كذلك يصل ثواب الحج إلى الميت فقد جاءت امرأة النبى عليه الصلاة والسلام فقالت :

- يارسول الله إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ .

فقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ »** .

فقالت المرأة :

- نعم .

فقال رسول الله - ﷺ -:

- **« أقضوا الله فالله أحق بالقضاء »** .

وسألت امرأة النبى عليه الصلاة والسلام :

- يانبى الله مات ابنى و لم يحج أفيجزىء أن أحج عنه ؟ .

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- **« حجى عن ابنك »** .

وقال رجل :

- يارسول الله إن أبى مات و لم يحج أفأحج عنه ؟ .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

- **« أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه ؟ »** .

قال الرجل :

- نعم .

قال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« فدين الله أحق »** .

يسألونك عن الأنفال

النفل والنافلة عطية المتطوع ومنه نافلة الصلاة – التطوع – قال لبيد بن ربيعة :

إن تقوى ربنا خير نفل   وبإذن الله ريثى والعجل

والنفل : اليمين قال رسول الله – ﷺ –:

– « .. **فتبرئكم يهود بنفل خمسين منهم** » .

والنفل : الانتفاء قال خاتم النبيين – ﷺ –:

– « .. **فانتفل من ولدها** » .

والنفل : نبت معروف .

والنفل : الزيادة على الواجب وهو التطوع .

وولد الولد نافلة لأنه زيادة على الولد قال تعالى : ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً** ﴾[1].

والغنيمة نافلة قال رسول الله – ﷺ –:

– « **أعطيت الليلة خمسا ما أعطين أحدا قبلى : أما أولاهن : فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان كل نبى إنما يرسل إلى قومه . ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر . وأحلت لى الغنائم كلها وكان من قبلى يعطونها ويحرمونها . وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا . وقيل لى : سل فإن كل نبى قد سأل فأخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهى لكم ولمن شهد لا إله إلا الله** » .

وقال عنترة :

إنا إذا أحمر الوغى نروى   القنا ونعف عند مقاسم الأنفال

والغنائم جمع غنيمة وهى ما يناله الإنسان بسعى يقول الشاعر :

وقد طوفت فى الآفاق حتى   رضيت من الغنيمة بالإياب

وفى الشرع هى المال المأخوذ من أعداء الإسلام عن طريق الحرب والقتال وتشمل :

- الأموال المنقولة – ذهب وفضة –.
- الأسرى .

(١) الأنبياء : ٧٢ .

● الارض .

وقد أحلها الله للمسلمين : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُم حَلَالاً طَيِّباً واتَّقُوا الله إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]

ولما خرج رسول الله – ﷺ – إلى بدر .. وهزم الله المشركين أتبعتهم طائفة من أصحاب رسول الله – ﷺ – يقتلونهم وأحدقت طائفة من المسلمين برسول الله – ﷺ – واستولت طائفة من أصحابه على عسكر قريش ونهبوهم فلما نفى الله المشركين ورجع الذين طلبوهم قالوا :

– لنا النفل نحن الذين طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم .

وقال الذين أحدقوا برسول الله – ﷺ –:

– ما أنتم أحق به منا بل هو لنا نحن أحدقنا برسول الله – ﷺ – لئلا ينال العدو منه غرة .

وقال الذين استولوا على العسكر والنهب :

– ما أنتم بأحق منا هو لنا نحن حويناه واستولينا عليه .

كانت الغنائم عظيمة فرأى سعد بن أبى وقاص فيها سيفا فأخذه وأتى به النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– يارسول الله نفلنى هذا السيف فأنا من علمت حاله وقد شفانى الله اليوم من المشركين .

فقال رسول الله – ﷺ –:

– **« إن هذا السيف لا لك ولا لى ضعه »** .

فرجع سعد بن أبى وقاص وألقى السيف من حيث أخذه .. ثم عاد فأخذه وذهب إلى أبى القاسم – ﷺ – وقال :

– يانبى الله نفلنيه .

فقال رسول الله – ﷺ –:

– **« ضعه من حيث أخذته »** .

فمشى سعد خطوات .. فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ﴾[2].

فقال رسول الله – ﷺ –:

– **« ياسعد اذهب فخذ سلبك – سيفك – »** .

---

(1) الأنفال : ٧٩ . (2) الأنفال : ١ .

وأصاب أبو أسيد مالك بن ربيعة سيف ابن عائذ وكان السيف يدعى بالمرزبان فلما أمر رسول الله - ﷺ - الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل فأقبل أبو أسيد بالسيف فألقاه فى النفل وكان رسول الله - ﷺ - لا يمنع شيئا يسأله فرأى الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى السيف فسأله رسول الله - ﷺ - .. فأعطاه إياه :

وكان رسول الله - ﷺ - قد قال :

- « **من قتل قتيلا فله كذا - سلبه - وكذا ومن أتى بأسير فله كذا وكذا** » .

فتسارع فى ذلك شباب المسلمين وبقى شيوخهم تحت الرايات فلما كانت المغانم جاءوا يطلبون الذى جعل لهم فقال الشيوخ :

- لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءا لكم لو انكشفتم لفئتم إلينا .

يقول عبادة بن الصامت :

- اختلفنا فى النفل يوم بدر وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله - ﷺ - فقسمه النبى عليه الصلاة والسلام بين المسلمين عن سواء .

وجاء أبو اليسر بأسيرين فقال :

- يارسول الله عليك أنت وعدتنا .

فقال سعد بن عبادة :

- يارسول الله إنك لو أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء وإنه لم يمنعنا من هذا زهادة الأجر ولا جبن عن العدو وإنما قمنا هذا المقام محافظة عليك مخافة أن يأتوك من ورائك .

فتشاجروا .. فنزل قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾[1].

كيفية تقسيم الغنائم ؟ :

بين العلى الحكيم كيف تقسم الغنائم فقال : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن**

(١) الأنفال : ١ .

كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

فالآية الكريمة نصت على الخمس يصرف على المصارف التى ذكرها العزيز القدير وهى : الله ورسوله وذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وذكر الله هنا تبركا .. فسهم الله ورسوله مصرفه الفىء فينفق منه على الفقراء - ومنهم أهل الصفة الذين لا مسكن لهم إلا مسجد رسول الله - ﷺ - وفى السلاح والجهاد فى سبيل الله .. قال الصحابى الجليل عمرو بن عنبسة :

- صلى بنا رسول الله - ﷺ - إلى بعير من الغنائم ولما سلم أخذ وبرة من جنب البعير ثم قال :

- « لا يحل لى من غنائمكم مثل هذا إلا الخمس والخمس مردود عليكم » .

أى ينفق منه على الفقراء وفى السلاح والجهاد .

أما نفقات أبى القاسم - ﷺ - فكانت مما أفاء الله عليه من أموال بنى النضير .

قال الفاروق :

- كانت أموال بنى النضير - يهود بنى النضير - مما أفاء الله ورسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب . فكانت للنبى - ﷺ - خاصة فكان ينفق على أهله ونفقة سنة وما بقى جعله فى الكراع - الخيل - والسلاح عدة فى سبيل الله .

وسهم ذى القربى : أى أقرباء النبى - ﷺ - وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب الذين آزروا النبى - ﷺ - وناصروه دون أقربائه الذين خذلوه وعاندوه .

ولما كان يوم خيبر قسم خاتم الأنبياء - ﷺ - سهم ذى القربى بين بنى هاشم وبنى عبد المطلب .. فجاء جبير بن مطعم وعثمان بن عفان فقالا :

- يارسول الله أما بنو هاشم فلا ننكر فضلهم لمكانك الذى وضعك الله به منهم فما بال إخواننا من بنى عبد المطلب ؟ أعطيتهم وتركتنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ؟ .

---

(١) الأنفال : ٤١ .

قال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« إنهم لم يفارقونى فى جاهلية ولا إسلام وإنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد »** .

وشبك - ﷺ - بين اصابعه :

- ويأخذ منهم الغنى والفقير والقريب والبعيد والذكر والأنثى : ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** ﴾[1].

وكان رسول الله - ﷺ - يعطى عمه العباس بن عبد المطلب وهو غنى ويعطى عمته صفية بنت عبد المطلب .

وأما سهم اليتامى : وهم أطفال المسلمين فقيل : يختص به الفقراء وقيل : يعم الأغنياء والفقراء لأنهم ضعفاء وإن كانوا أغنياء .

وجاء رجل النبى - ﷺ - وهو بوادى القرى وهو معترض فرسا فقال :

- يارسول الله ما نقول فى الغنيمة ؟ .

قال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« لله خمسها وأربعة أخمساها للجيش »** .

فقال الرجل :

- فما أحد أولى به من أحد .

قال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« لا ولا السهم تستخرجه من جيبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم »**

وفى الحديث :

- وأيما قرية عصت الله ورسوله فإن خمسها لله ولرسوله ثم هى لكم .

وأما الأربعة أخماس الباقية فتعطى للجيش . ويختص بها الذكور الأحرار البالغون العقلاء أما النساء والعبيد والصغار فإنه لا يسهم لهم ويستوى فى العطاء القوى والضعيف ومن قاتل ومن لم يقاتل فقد قال سعد بن أبى وقاص لرسول

---

(١) النساء : ١١ .

الله - ﷺ - يوم بدر :

- يارسول الله الرجل يكون حامية القوم ويكون سهمه وسهم غيره سواء ؟ .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

- **« ثكلتك أمك ابن أم سعد وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم ؟ »** .

ومن بعثه الأمير لمصلحة الجيش كالبريد والطليعة والعين - الجاسوس - يسهم له وإن لم يحضر الواقعة كما كان لطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وعثمان بن عفان يوم بدر فقد جلس ذو النورين إلى جانب امرأته رقية بنت رسول الله - ﷺ - فى مرض وفاتها فلما رجع النبى عليه الصلاة والسلام قال له :

- إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا أو سهمه .

وتقسم الغنيمة على أساس أن يكون للرجل سهم وللفارس ثلاثة . وكان رسول الله - ﷺ - يسهم للفارس وفرسه ثلاثة أسهم وللراجل - المجاهد على رجليه - سهما .

وكان رسول الله - ﷺ - يعطى السلب - ما وجد على المقتول من السلاح وعدة الحرب وما يتزين به للحرب - للقاتل وكان يقول :

- **« من قتل فله السلب »** .

أما ما كان مع القتيل من جواهر وذهب وفضة ونقود ونحوها فليس من السلب وإنما هو غنيمة .

يسألونك عن الجبال

لما خلق الله عز وجل الأرض جعلها كالمهد للصبى ولكنها جعلت تميد – تميل – وتتكفأ فأرساها بالجبال : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾[1]؟ أى لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها ؟ ﴿ **وَجَعَلْنَا فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ** ﴾[2] أى جبال ثوابت فاستقرت .. فتعجب الملائكة من شدة الجبال وتساءلوا :

– ياربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبال ؟ .

قال الله تعالى :

– **« نعم »** .

قالت الملائكة :

– ماهو ؟ .

قال الله عز وجل :

– **« الحديد »** .

قالوا :

– فهل خلقت خلقا أشد من الحديد ؟ .

قال الله تعالى :

– **« نعم النار »** .

قالت الملائكة :

– فهل خلقت خلقا أشد من النار ؟ .

قال الله عز وجل :

– **« نعم الماء »** .

فقالوا :

– فهل خلقت خلقا أشد من الماء ؟ .

قال تعالى :

– **« نعم الريح »** .

---

(١) النبأ : ٦ ، ٧ . (٢) الأنبياء : ٣١ .

قالت الملائكة :

– فهل خلقت خلقا أشد من الريح ؟ .

قال الله عز وجل :

– **« نعم ابن آدم إذا تصدق صدقة بيمينه فأخفاها عن شماله » .**

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾[1]، **﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾**[2] فالجبال تتكون من معادن مختلفة كالحديد والنحاس و .. لذا تكون مختلفة الألوان وهى طرائق تخالف لون الجبل .

ولما رجع رسول الله – ﷺ – من تبوك وأشرف على مدينته ورأى جبل أحد قال لأصحابه :

– **« هذا أحد جبل يحبنا ونحبه » .**

وقال رسول الله – ﷺ –:

– **« أربعة أجبل من جبال الجنة : أحد ونجبة وطور ولبنان وأربعة أنهار من أنهار الجنة : النيل والفرات وسيحان وجيحان وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة : بدر وأحد والخندق وحنين » .**

وقال الصادق المصدوق – ﷺ –:

– **« أحد جبل يحبنا ونحبه فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاضه – شجر أم عيلان – » .**

وقال سيد الأنبياء – ﷺ –:

– **« أحد ركن من أركان الجنة » .**

وقال أبو القاسم – ﷺ –:

– **« أحد هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة وهذا عير – جبل فى المدينة – يبغضنا ونبغضه وإنه على باب من أبواب النار » .**

وقال الهادى البشير – ﷺ –:

– **« إن أحدا جبل يحبنا ونحبه وهو على ترعة من ترع الجنة وعير على ترعة من ترع النار » .**

---

(١) الغاشية : ١٧ – ١٩ .   (٢) فاطر : ٢٧ .

وقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« هذه طابة - مدينة رسول الله - ﷺ - وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه »** .

وكان رسول الله - ﷺ - إذا رأى جبل أحد قال :

- **« هذا جبل يحبنا ونحبه »** .

وكان أبو القاسم - ﷺ - يقول عن جبل الخليل :

- **« جبل الخليل جبل مقدس وإن الفتنة لما ظهرت فى بنى إسرائيل أوحى الله تعالى إلى أنبيائهم أن يفروا بدينهم إلى جبل الخليل »** .

وسأل رسول الله - ﷺ - عن جبل حمث فقال :

- **« هل تدرون ما اسم هذا الجبل ؟ »** .

قالوا :

- الله ورسوله أعلم .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- **« هذا حمث جبل من جبال الجنة اللهم بارك فيه وبارك لأهله فيه »** .

ولما أراد كليم الله عليه السلام أن يكلم الله عز وجل : **﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظر إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾**[1].

بعد أن جاء موسى عليه السلام لميقات الله تعالى وكلمه ربه سأل الله جل وعلا أن ينظر إليه فقال تعالى :

- **« ياموسى إنه لا يرانى حى إلا مات ولا يابس إلا تدهده »** .

قال رسول الله - ﷺ - ووضع الإبهام قريبا من طرف خنصرة :

- **« ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ فساخ »** .

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- **« لما تجلى الله للجبل طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة وثلاثة بمكة فوقع بالمدينة أحد وورقان - جبل بين مكة والمدينة على يمين الصاعد من المدينة إلى مكة - ورضوى ووقع بمكة ثبير وحراء وثور »** .

---

(١) الأعراف : ١٤٣ .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ أسمع موسى قال له : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ ﴾[1] » وذلك عشية عرفة .

وكان الجبل بالموقف فانقطع على سبع قطع قطعة سقطت بين يديه وهو الذى يقوم الإمام عنده فى الموقف يوم عرفة وبالمدينة ثلاثة : طيبة وأحد ورضوى وطور سيناء بالشام وإنما سمى الطور لأنه طار فى الهواء إلى الشام .

وذكر رسول الله - ﷺ - جبل أحد من جبال الجنة .

ولما كان الخالق أعلم بما يسر ويعلن المخلوق فقد علم الله عز وجل أن الناس قد يسألون عن حال الجبال يوم القيامة فأوحى لنبيه - ﷺ - « فقل » لأن المعنى إذا سألوك عن الجبال فتضمن الكلام معنى الشرط وقد علم الله عز وجل أنهم يسألونه عنها فأجابهم قبل السؤال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾[2] أى يقلعها قلعا من أصولها ثم يصيرها رملا يسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا أى يذهبها من أماكنها ويمحقها ويسيرها فيذرها أى الأرض الملساء التى لا نبات فيها .

وقد ذكر العلى القدير فى الآيات السابقة على هذه الآيات من سورة طه يوم القيامة وما يقع للظالمين فيه وما يجرى من أحاديث متخافتة بينهم وكان مما يسأل عنه من شأن هذا اليوم هذه الجبال .. ويتجلى المشهد الرهيب يومئذ فإذا الجبال الراسية الراسخة قد نسفت نسفا وإذا هى قاع بعد إرتفاع قاع صفصف خال من كل نتوء ومن كل فجاج فقد سويت الأرض فلا علو فيها ولا إنخفاض ولا نبات ولا بناء .

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾[3] أى تتحرك وتضطرب بمن عليها .

وقال تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾[4] أى نسفت من أصولها وأزيلت عن مواضعها فصارت لا شىء كما أن السراب - يظنه الرائى ماء وليس بماء - .

---

(١) طه : ١٤ .

(٢) طه : ١٠٥ . (٣) المزمل : ١٤ . (٤) النبأ : ٢٠ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَت** ﴾[1] يعنى قلعت من الأرض وسيرت فى الهواء وهو مثل قول العزيز الحكيم : ﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً** ﴾[2] أى تحول الجبال عن منزلة الحجارة فتكون كثيباً مهيلا أى رملا سائلا و ﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوش** ﴾[3] أى تكون الجبال كالصوف الذى ينفش باليد أى تصير هباء منثورا .

وقال تعالى : ﴿ **يوم تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ** ﴾[4] يوم تكون السماء كَدُرْدِيّ الزيت وعَكَرُه أو ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة أو كقيح ودم وصديد وتكون الجبال كالصوف المصبوغ باللون الأحمر وهو أضعف الصوف .

وقوله تعالى : ﴿ **وَحُمِلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً** ﴾[5] أى رفعت من أماكنها فالدك كالزلزلة .

وقال تعالى : ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾[6]

كل ذلك من صنع الله الذى أتقن كل شيء وأحكمه .

---

(١) التكوير : ٤ . (٢) الكهف : ٤٧ . (٣) القارعة : ٥ .
(٤) المعارج : ٨ ، ٩ . (٥) الحاقة : ١٤ . (٦) النمل : ٨٨ .

يسألونك عن المحيض

الحيض هو السيلان والمراد به هنا الدم الذى يخرج من قبل – فرج – المرأة حال صحتها من غير سبب ولا افتضاض ولا يبدأ قبل بلوغ الأنثى تسع سنين فإذا خرج دم قبل بلوغها هذا السن لا يكون دم حيض بل دم علة ومرض .

ولدم الحيض ألوان :

١ – **السواد** : جاءت فاطمة بنت أبى حبيش النبى – ﷺ – وأخبرته أنها استحاضتْ فقال لها أبو القاسم – ﷺ –:

– « إذا كان دم الحيضة فإنه أسود يعرف فإن كان كذلك فأمسكى عن الصلاة فإذا كان الآخر فتوضىء وصلى فإنما هو عرق » .

٢ – **الحمرة** : لأنها أصل لون الدم .

٣ – **الصفرة** :وهى ماء تراه المرأة كالصديد يعلوه إصفرار .

٤ – **الكدرة** : وهى التوسط بين لون البياض والسواد كالماء الوسخ .

وكان العرب فى مدينة رسول الله – ﷺ – وما والاها قد استنوا بسنة بنى إسرائيل فإذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها وتجنبوا مساكنتها و لم يجامعوها فى البيوت وإذا أرادوا أن يأتوا النساء يأتوهن فى أدبارهن مدة زمن المحيض فسأل أصحاب رسول الله – ﷺ – النبى عليه الصلاة والسلام :

– يارسول الله ماذا نفعل بنسائنا فى المحيض ؟ .

فنزل قوله تعالى : **﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾**[1].

فلما قرأ النبى – ﷺ – هذه الآية قال :

– « اصنعوا كل شىء إلا النكاح » .

فبلغ ذلك اليهود فقالوا :

– ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه .

---

(١) البقرة : ٢٢٢ .

فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا :

- يارسول الله إن اليهود تقول كذا كذا أفلا نجامعهن ؟ .

فتغير وجه رسول الله - ﷺ - حتى ظن أصحابه أن قد وجد - غضب - على أسيد بن حضير وعباد بن بشر فخرج فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله - ﷺ - فأرسل فى آثارهما فسقاهما فعرفا أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يجد - يغضب - عليهما .

لقد كانت اليهود والمجوس تجنب الحائض وكانت النصارى يجامعون الحيض فأمر الله عز وجل بالقصد بين هذين بإعتزال النساء فى المحيض يعنى الفرج لذلك يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج .

ركب مسروق إلى أم المؤمنين عائشة فقال :

- السلام على النبى وعلى أهله .

فقالت أم المؤمنين عائشة :

- مرحبا فأذنوا له .

فدخل مسروق فقال :

- إنى أريد أن أسألك عن شىء وأنا استحى .

فقالت أم المؤمنين عائشة :

- إنما أنا أمك وأنت ابنى .

فقال مسروق :

- ما للرجل من امرأته وهى حائض ؟ .

فقالت أم المؤمنين عائشة :

- له كل شىء إلا فرجها - إلا الجماع - .

فيحل للرجل مواكلة المرأة وهى حائض ومضاجعتها .. تقول أم المؤمنين عائشة :

- كان رسول الله - ﷺ - يأمرنى فأغسل رأسه ،أنا حائض وكان يتكىء فى حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن .

وتقول :

- كنت أتعرق العرق وأنا حائض فأعطيه النبى - ﷺ - فيضع فمه

فى الموضع الذى وضعت فمى فيه وأشرب الشراب فأناوله فيضع فمه فى الموضع الذى كنت أشرب منه .

وسأل عبد الله بن سعد الأنصارى رسول الله – ﷺ –:

– يانبى الله ما يحل لى من امرأتى وهى حائض ؟ .

قال النبى – ﷺ –:

– « ما فوق الازار والتعفف عن ذلك أفضل » .

وتترك المرأة للحيض الصلاة والصوم – فى أيام الدم – وتغتسل عند انقطاعه وتصلى والحيض خلقة فى النساء وطبع معتاد معروف منهن ..

خرج رسول الله – ﷺ – يوم عيد أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال :

– « **يامعشر النساء تصدقن فإنى أريتكن أكثر أهل النار** » .

فقلن :

– وبم يارسول الله ؟ .

قال – ﷺ –:

– « **تكثرن اللعن وتكفرن العشير – الزوج – ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن** » .

قلن :

– وما نقصان عقلنا وديننا يارسول الله ؟ .

قال الصادق المصدوق – ﷺ –:

– « **أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟** » .

قلن :

– بلى .

قال أبو القاسم – ﷺ –:

– « **فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟** » .

قلن :

– بلى يارسول الله .

قال خاتم الأنبياء – ﷺ –:

– « **فذلك من نقصان دينها** » .

وتقضى المرأة الصوم ولا تقضى الصلاة .. سألت معاذة أم المؤمنين عائشة :
- ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ .
فقالت أم المؤمنين عائشة :
- أحرورية أنت ؟ .
فقالت معاذة :
- لست بحرورية ولكنى أسأل .
قالت أم المؤمنين عائشة :
- كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

من يأتى امرأته وهى حائض ؟ .

جعل رسول الله - ﷺ - فى الذى يأتى امرأته وهى حائض أن يتصدق بدينار - إذا كان دما أحمر - ونصف دينار - إذا كان دما أصفر أو أدبر الدم عنها ولم تغتسل - كفارة .

مدة الحيض :

إن الحيض لا يكون أكثر من خمسة عشر يوما وقد يكون خمسة عشر يوما فما دون وما زاد على خمسة عشر يوما فهو استحاضة وما كان أقل من يوم وليلة فهو استحاضة فقد استفتت أم المؤمنين أم سلمة رسول الله - ﷺ - فى امرأة تهراق الدم فقال :

- « **لتنظر قدر الليالى والأيام التى كانت تحيضهن وقدرهن من الشهر فتدع الصلاة ثم لتغتسل ولتستثفر - تشد خرقة على فرجها - ثم تصلى** » .

مدة الطهر بين الحيضتين :

لا حد لأكثر الطهر المتخلل بين الحيضتين واختلف العلماء فى أقله فقدره بعضهم بخمسة عشر يوما وذهب فريق منهم إلى أنه ثلاثة عشر والحق أنه لم يأت فى تقدير أقله دليل ينهض للاحتجاج به .

قال رسول الله - ﷺ -:
- « **أقل الحيض ثلاث وأكثره عشرة** » .
وقال نبى الرحمة - ﷺ -:
- « **لا يكون الحيض للجارية والثيب التى قد أيست من الحيض أقل**

من ثلاثة أيام ولا أكثر من عشرة أيام » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« أخبرني جبريل أن الله عز وجل بعثه إلى أمنا حواء حين دميت فنادت ربها : جاء مني دم لا أعرفه فناداها : لأدميتك وذريتك لأجعله لك كفارة وطهورا »** .

وجاءت حمنة بنت جحش إلى رسول الله - ﷺ - وأخبرته أنها حاضت حيضة كبيرة شديدة فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام :

- **« أنعت لك الكرفس - القطن - فإنه يذهب الدم - يمنع نزول الدم ثم يقطعه - »** .

فقالت حمنة بنت جحش :

- يانبي الله هو أكثر من ذلك .

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- **« فتلجمي - اجعلي موضع خروج الدم عصابة تمنع الدم تشبيها بوضع اللجام في فم الدابة فيمنع استرسالها - »** .

قالت حمنة بنت جحش :

- يارسول الله هو أكثر من ذلك .

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- **« فاتخذي ثوبا - اجعلي ثوبا تحت اللجام مبالغة في الاحتياط من خروج الدم - »** .

قالت حمنة بنت جحش :

- هو أكثر من ذلك أنما أثج - الثج صب الدم وسيلانه بشدة - ثجا .

فقال - ﷺ -:

- **« سآمرك بأمرين : أيهما صنعت أجزأ عنك فإن قويت عليهما فأنت أعلم إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان فتحيضي ستة أيام أو سبعة - عدي نفسك حائضاً وافعلي ما تفعل الحائض وخص الست أو السبع لأنهما الغالب على أيام الحيض - في علم الله ثم اغتسلي فإذا رأيت أنك قد طهرت واستنقأت - استنقيت - فصلي أربعا وعشرين ليلة أو ثلاثا وعشرين ليلة وأيامها وصومي وصلي فإن ذلك يجزئك وكذلك فافعلي كما تحيض النساء**

وكما يطهرن لميقات حيضهن وطهرهن فإن قويت على أن تؤخرى الظهر وتعجلى العصر فتغتسلين وتجمعين بين الصلاتين الظهر والعصر وتؤخرين المغرب وتعجلين العشاء ثم تغتسلين وتجمعين بين الصلاتين فافعلى وتغتسلين مع الفجر – الصبح – وصومى إن قدرت على ذلك هو أعجب الأمرين إلى » .

الحيض أذى :

﴿ **قُلْ هُوَ أَذًى** ﴾ أى هو شيء تتأذى به المرأة وغيرها برائحته دم الحيض والأذى كناية عن القذر على الجملة ويطلق على القول المكروه وقد أثبت العلم الحديث أن المباشرة أثناء الحيض تسبب أمراضا كثيرة خطيرة لذلك قال تعالى : ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ** ﴾ أى فى زمن المحيض .

غسل المرأة :

سألت أسماء بنت يزيد النبى – ﷺ – عن غسل المحيض فقال :

– « **تأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور – تتوضأ فتحسن الوضوء – ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى يبلغ شئون رأسها – أصول شعر الرأس – ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة – قطعة قطن أو صوفة مطيبة بالمسك – ممسكة فتطهر بها** » .

فقالت أسماء بنت يزيد :

– وكيف تطهر بها ؟ .

قال أبو القاسم – ﷺ –:

– « **سبحان الله تطهرى بها** » .

فقالت أم المؤمنين عائشة كأنها تخفى ذلك :

– تتبعى أثر الدم .

وسألت أسماء بنت يزيد رسول الله – ﷺ – عن غسل الجنابة فقال :

– « **تأخذى ماءك فتطهرين فتحسنين الطهور أو أبلغى الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى يبلغ شئون رأسها ثم تفيض عليها الماء** » .

فقالت أم المؤمنين عائشة :

– نعم نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين .

يقول تعالى : ﴿ **حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾[1]فلا يجوز وطأ المرأة فى المحيض حتى تغتسل وصفة غسل الحائض صفة غسلها من الجنابة وليس عليها نقض شعرها فى ذلك قالت أم المؤمنين أم سلمة :

– يارسول الله – ﷺ – إنى أشد ضفر رأسى أفأنقضه لغسل الجنابة ؟ .

قال نبى الرحمة – ﷺ –:

– « **لا إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين فإذا تطهرت النساء فجامعوهن فى الفرج ولا تعدوه إلى غيرة فمن فعل شيئا من ذلك فقد اعتدى** » – دلالة على تحريم الوطء فى الدبر –.

قال العليم الخبير : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** ﴾[2].

كان الأنصار يحبون – يأتون –النساء فى أدبارهن فقالت اليهود :

– إذا أتى الرجل امرأته فى دبرها فى قبلها كان الولد أحول .

فنزل قوله تعالى : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** ﴾ .

كان الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود – أهل كتاب – وكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء الا على حرف وذلك ما تكون المرأة فكان هذا الحى من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت :

– إنما كنا نؤتى على حرف –على جنوبهن – فاصنع ذلك والا فاجتنبنى .

فكان بينهما كلام وشرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله – ﷺ – فنزل قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** ﴾ أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك موضع الولد .

وجاء عمر بن الخطاب رسول الله – ﷺ – يوما فقال :

– يارسول الله هلكت .

---

(١) البقرة : ٢٢٢ . **(٢) البقرة : ٢٢٣ .**

فتساءل خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **وما أهلكك ؟** » .

قال الفاروق :

- حولت رحلى الليلة .

فلم يرد عليه الذى لا ينطق عن الهوى - ﷺ - فأوحى الله إلى نبيه - ﷺ -.

﴿ **نِسَاؤُكُم حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُم أَنَّى شِئْتُم** ﴾ .

فقال الهادى البشير - ﷺ -:

- « **أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة** » (رواه النسائى)

ونهى رسول الله - ﷺ - عن إتيان النساء فى أدبارهن فقال :

- « **أيها الناس إن الله لا يستحى من الحق لا تأتوا النساء فى أعجازهن** » .

وقال - ﷺ -:

- « **من أتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة** » .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة فى الدبر** » .

وذكر الصادق المصدوق - ﷺ - أن من بين السبعة الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول : « **ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به والناكح يده وناكح البهيمة وناكح المرأة فى دبرها وجامع بين المرأة وابنتها والزانى بحليلة جاره** » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

- « **ملعون من أتى النساء فى أدبارهن** » .

وقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « **من أتى شيئاً من الرجال والنساء فى الأدبار فقد كفر** » .

وسأل رجل عبد الله بن عباس عن إتيان المرأة فى دبرها فقال :

- تسألنى عن الكفرة ؟؟ .

وإتيان المرأة فى دبرها كان بدء عمل قوم لوط قال رسول الله - ﷺ -:
- **« تلك اللوطية الصغرى »** .
وقال - ﷺ -:
- **« أيها الناس إن الله لا يستحى من الحق لا تأتوا النساء فى أعجازهن »** .
فهل الحرث إلا فى موضع المنبت و قال رسول الله - ﷺ -:
- **« لا بأس إذا كان فى صمام واحد »** - الفرج -.
وقال - ﷺ -:
- **« من أتى شيئا من الرجال والنساء فى الأدبار فقد كفر »** .
وقال أبو القاسم - ﷺ -:
- **« من أتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة »** .

الاستحاضة :

وهى استمرار نزول الدم وجريانه فى غير أوانه .
ولها ثلاث حالات :

١ - أن تكون مدة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة وفى هذه المدة المعروفة هى مدة الحيض والباقى استحاضة .

٢ - أن يستمر بها الدم ولم يكن لها أيام معروفة اما لأنها نسيت عادتها أو بلغت مستحاضة ولا تستطيع أن تميز دم الحيض وفى هذه الحالة تكون حيضتها ستة أيام أو سبعة على غالب عادة النساء .

٣ - أن لا تكون لها عادة ولكنها تستطيع تمييز دم الحيض من غيره وفى هذه الحالة تعمل بالتميز ..

جاءت فاطمة بنت أبى حبيش فقالت :
- يارسول الله إنى أستحاض حيضة شديدة .
فقال رسول الله - ﷺ -:
- **« إذا كان دم الحيض فإنه أسود يعرف فإذا كان كذلك فأمسكى عن الصلاة فإذا كان الآخر فتوضىء وصلى فإنما هو عرق »** .

وقال - ﷺ -:

- « **إن هذه ليست حيضة لكن هذا عرق فإذا أدبرت الحيضة فاغتسلى وصلى وإذا أقبلت فاتركى الصلاة** » .

وللاستحاضة أحكام :

١ - أنه لا يجب عليها الغسل لشىء من الصلاة ولا فى وقت من الأوقات إلا مرة واحدة حينما ينقطع حيضها .

٢ - أنه يجب عليها الوضوء لكل صلاة قال - ﷺ -:

- « **... ثم توضىء لكل صلاة** » .

٣ - أن تغسل فرجها قبل الوضوء وتحشوه بخرقة أو قطنا دفعا للنجاسة وتقليلا لها .

٤ - ألا تتوضأ قبل دخول وقت الصلاة .

٥ - أنه يجوز لزوجها أن يطأها فى حالة جريان الدم .. قال عبد الله ابن عباس :. - المستحاضة يأتيها زوجها إذا صلت فالصلاة أعظم .

٦ - إن لها حكم الطاهرات فتصلى وتصوم وتقرأ القرآن وتمس المصحف وتحمله وتفعل كل العبادات .

الحيض والحج :

إذا خرجت المرأة لاداء فريضة الحج .. ثم اقتربت من أم القرى فحاضت .. ماذا تفعل ؟ .

لما خرج رسول الله - ﷺ - وزوجاته لأداء حجة الوداع - حجة البلاغ أو حجة الإسلام - جاء المخاض أسماء بنت عميس زوج أبى بكر الصديق فى ذى الحليفة وولدت محمد بن أبى بكر وأرسلت إلى رسول الله - ﷺ - وأخبرته بذلك فأمرها أن تغتسل وتستنفر أى بخرقة عريضة بعد أن تحشو بنحو قطن وتربط طرفى تلك الخرقة فى شىء تشده فى وسطها تمنع بذلك سيلان الدم كما تفعل الحائض وتحرم .

ثم حاضت أم المؤمنين عائشة فى أثناء الطريق بمحل يقال له سرف - كانت أحرمت بعمرة - فلما دخل عليها رسول الله - ﷺ - وجدها تبكى فقال :

- « **ما يبكيك ياعائشة ؟** » .

فسكتت ... فقال - ﷺ -:

- « **ما يبكيك ياهتاه ؟ لعلك نفست** » - حضت -.

قالت عائشة :

- نعم والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر .

قال - ﷺ -:

- « **لا تقولين ذلك فهذا شىء كتبه الله على بنات آدم** » .

ثم قال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « **ارفضى عمرتك - لا تشرعى فى شىء من أعمالها - وأحرمى بالحج فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج - أى تفعلين ما يفعل الحاج وأنت حائض - إلا أنك لا تطوفين بالبيت** » .

فأدخلت أم المؤمنين عائشة الحج على العمرة ووقفت المواقف ووقفت بعرفة وهى حائض حتى إذا طهرت - كان ذلك يوم النحر وقيل عشية عرفة - وطافت بالبيت وسعت بين الصفا والمروة فقال رسول الله - ﷺ -:

- « **قد حللت من حجك وعمرتك جميعا** » .

وجاء نفر من الكوفة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقالوا :

- جئناك نسألك عن ثلاث خصال : عن صلاة الرجل فى بيته تطوعا . وعما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضا وعن الغسل من الجنابة .

فقال الفاروق :

- لقد سألتنى عن خصال ما سألنى عنهن أحد منذ سألت رسول الله - ﷺ - : أما صلاة الرجل فى بيته تطوعا فهو نور فنوروا بيوتكم وأما ما يحل للرجل من امرأته حائضا فلك مافوق الأزار من الضم والتقبيل ولا تطلع على ما تحته وأما الغسل من الجنابة فتفرغ بيمينك على شمالك ثم تدخل يدك فى الأناء فتغسل فرجك وما أصابك ثم تتوضأ وضوءك للصلاة ثم تفرغ على رأسك ثلاث مرات تدلك رأسك كل شىء مرة ثم أفضى الماء على جسدك ثم تنح عن مغتسلك فاغسل رجليك .

يسألونك عن الخمر

الخمر أم الخبائث :

أول من شرب الخمر :

كان أزور وخانجاس ملكين من ملوك السريان وكانا أخوين فأحسنا السيرة وتعاضدا على الملك وذات يوم كان أحدهما جالسا إذ نظر إلى أعلى قصره إلى طائر قد أفرخ هناك وإذا هو يضرب بجناحيه ويصيح فتأمل الملك ذلك فرأى حية تنساب إلى وكر الطائر لتأكل فراخ الطائر فدعا الملك بقوس فرمى به الحية فصرعها وسلمت فراخ الطائر فجاء الطائر بعد هنيهة يصفق بجناحيه وفى منقاره وفى مخالبه حبتان وجاء إلى الملك وألقى فى حجره ما كان فى منقاره ومخالبه والملك يرمقه فتأمله وقال :

– لأمر ما ألقى هذا الطائر ما ألقى لاشك أنه أراد مكافأتنا على ما فعلنا به .

فأخذ الحب وجعل يتأمله فلم يعرف مثله فى بلاده فرأى حكيم كان يجلس بين جلساء الملك حيرته فى الحب فقال :

– أيها الملك ينبغى أن يودع النبات أرحام الأرض فإنها تخرج كنه ما فيه فنقف على الغاية منه وأداء ما فى مخزونه ومكنونه .

فقال الملك :

– صدقت .

ودعا بالأكرة – الحراث – وأمرهم بزرع الحب ومراعاته وما يكون منه .. فزرع فنبت وأقبل يلتف بالشجر ثم حصرم وأعنب وهم يرمقونه والملك يراعيه إلى أن انتهى فى البلوغ وهم لا يقدمون على ذوقه خوفا أن يكون متلفا فأمر الملك بعصر مائه وأن يودع فى أوانى وإفراد حب منه وتركه على حالته فلما صار فى الآنية عصيراً هدر وقذف بالزبد وفاحت له رائحة عبقة فقال الملك :

– على بشيخ كبير فان .

فأتى به فصب له من ذلك فى إناء فرآه لونا عجبا ومنظرا كاملا ولونا ياقوتيا أحمر وشعاعاً نيرا .. ثم سقوا الشيخ .. فما شرب ثلاثا حتى مال وصال وصفق بيديه وحرك رأسه وقرع برجليه على الأرض وطرب ورفع عقيرته يتغنى فقال الملك :

– هذا شراب يذهب بالعقل وأخاف – وأخلق به أن يكون قاتلا – أن يكون قاتلا ألا ترى إلى الشيخ كيف عاد إلى الصبا وسلطان الدم وقوة الشباب ؟ .

ثم أمر الملك به فزبد فسكر الشيخ فنام فقال الملك :

– هلك .

ثم إن الشيخ أفاق وطلب الزيادة من الشراب وقال :

– لقد شربته فكشف عنى الغموم وأزال عن ساحتى الأحزان والهموم وما أراد الطائر إلا مكافأتكم بهذا الشراب الشريف .

لقد رأى الملك أن الشيخ قد حسن لونه وقوى حيله وانبسط فى نفسه وطرب فى حال طبيعة الحزن وسلطان البلغم وجاد هضمه وجاءه النوم وصفا لونه واعترته أريحية فقال الملك :

– هذا أشرف شراب أهل الأرض .

وأمر أن يكثر من غرس الكرم .. فكثر الغرس للكرم وأمر أن يمنع العامة من ذلك وقال :

– هذا شراب الملوك وأنا السبب فيه فلا يشربه غيرى .

فاستعمله الملك بقية أيامه .. ثم نما فى أيدى الناس واستعملوه .. وقد قيل : إن نوحا أول من زرعها .

الخمر أعظم الكبائر :

كان رجل من بنى إسرائيل يعبد الله عز وجل ويعتزل الناس فى صومعة فعلقته امرأة فأرسلت إليه خادما فقالت :

– إنا ندعوك لشهادة .

فذهب الرجل إلى قصر المرأة فرحبت به وطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى إذا أفضى إلى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية – قلة – فيها خمر

فقالت :

– إنا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام أو تقع على أو تشرب كأسا من الخمر فإن أبيت صحت بك وفضحتك .

كيف يقتل نفسا حرمها الله ؟ كيف يرتكب جريمة الزنا ؟ نظر العابد إلى المرأة فرأى سحب الاصرار على وجهها فلما رأى أنه لابد له من ذلك قال :

– اسقنى كأسا من الخمر .

فسقته كأسا من الخمر .. فقال :

– زيدينى .

فلم تزل تسقيه حتى فقد عقله ووقع عليها وقتل الغلام .. لقد اختار أيسر الأمور من وجهة نظره فارتكب جرائم الفحشاء والزنا وقتل النفس التى حرم الله .

قال رسول الله – ﷺ –:

– « **إن آدم لما هبط إلى الأرض قالت الملائكة : أى رب ﴿ أَتَجْعَلُ مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاتَعْلَمُون ﴾[1] قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله لملائكته : هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان ؟ قالوا : ربنا هاروت وماروت قال : اهبطا إلى الأرض فتمثلت لهما الزهراء امرأة من أحسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا : لا والله لا نشرك بالله أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت إليهما ومعها صبى تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى فلما أفاقا قالت المرأة – الزهراء – : والله ما تركتما من شىء أبيتماه على إلا فعلتماه حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا** » .

والخمر مأخوذة من خمر إذا ستر ومنه خمار المرأة وكل شىء غطى شيئا فقد خمره ومنه خمروا آنيتكم فالخمر تخمر العقل أى تغطيه وتستره .

فالخمر هى تلك السوائل المعروفة المعدة بطريق تخمر بعض الحبوب أو الفواكه وتحول النشا أو السكر الذى تحتويه إلى غوال – كحول – بواسطة

---

(١) البقرة : ٣٠ .

بعض الكائنات الحية لها القدرة على إفراز مواد خاصة يعد وجودها ضروريا فى عملية التخمر .

التدرج فى تحريم الخمر :

وكان الناس مولعين بشرب الخمر فلما جاء الإسلام لم يحرمها وكانت الخمر تلعب برءوس الناس فيأتون الأقوال أو الأفعال ما ينكرون وكان أناس منهم يلعبون الميسر فكانوا يذبحون الجزور ويقطعونه عشرة أجزاء ثم يلعبون عليها فمن خسر دفع ثمن الذبيحة بينما توزع اللحوم على فقراء المدينة وكان الذين يلعبون لا يجدون فى الميسر من بأس ما دام النفع يعود على الفقراء والمساكين وابن السبيل ..

وجاء رجال النبى - ﷺ - يسألونه عن الخمر والميسر .. فأنزل الله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾[1].

فلما قرئت على الفاروق قال عمر بن الخطاب :

- اللهم بين لنا من الخمر بيانا شافيا .

وكان من الناس من لم يشربها ومنهم من شربها وقال :

- ما حرم علينا إنما قال : ﴿ **فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ** ﴾ .

وغدوا يقولون لأبى القاسم - ﷺ -:

- يارسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله تعالى .

فسكت عنهم وظلوا يشربون فإن الله لم يحرمها فأخبرهم أن فيها إثما وهو ما يحصل بها من ترك المأمور وفعل المحظور وفيها منفعة وهو ما يحصل من اللذة ومنفعة البدن والتجارة فيها - الربح لأنهم كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها فى الحجاز بربح كثير - .

وذات يوم صنع عبد الرحمن بن عوف لأصحاب رسول الله - ﷺ - طعاما فلما انتهوا من طعامهم سقاهم من الخمر فأخذت الخمر منهم وحضرت صلاة المغرب فقدم المهاجرون على بن أبى طالب إماما فقرأ : ﴿ **يأيها الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * ونحن نعبد ما تعبدون** ﴾ لقد خلط فى

---

(١) البقرة : ٢١٩ .

قراءته .. فنزل قوله تعالى : ﴿ يٰأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُم سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[1].

لما قرئت على عمر بن الخطاب قال :

– اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا .

وقال صحابة رسول الله – ﷺ – لأبى القاسم – ﷺ –:

– يارسول الله انا لا نشرب الخمر قرب الصلاة .

فسكت عنهم فقد كانوا يشربونها للمنفعة لا للأثم وكان منادى رسول الله – ﷺ – إذا أقام الصلاة ينادى :

– لا يقربن الصلاة سكران .

كان المسلمون يشربون الخمر حتى يأتى أحدهم الصلاة وهو مفيق .

وأتى سعد بن أبى وقاص على نفر من المهاجرين يوما فقالوا :

– تعال نطعمك ونسقيك خمرا .

فأتاهم فى بستان وإذا رأس جزور مشويا عندهم ودن من خمر فأكل وشرب معهم وذكر الأنصار والمهاجرين فقال :

– المهاجرون خير من الأنصار .

أخذ رجل لحى الرأس فجدع – قطع – أنفه بذلك فأتى رسول الله – ﷺ – فأخبره .

وشربت قبيلتان من قبائل الأنصار فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول :

– صنع بى هذا أخى فلان والله لو كان بى رءوفا رحيما ما صنع هذا بى .

كانوا أخوة ليس فى قلوبهم ضغائن فإذا بالضغائن تقع فى قلوبهم .

وكان لعلى بن أبى طالب ناقة أصابها من غنائم يوم بدر وأعطاه رسول الله – ﷺ – ناقة أخرى من الخمس ولما أراد على أن يبنى بالزهراء بنت رسول الله – ﷺ – واعد رجلا صواغا من بنى قينقاع أن يرتحل معه فيأتيان باذخر أراد أن يبيعه من الصواغين فيستعين به فى وليمة عرسه .

وكانت الناقتان مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار وكان على بن أبى طالب يجمع لهما من الأقتاب والغرائر والحبال وكان عمه حمزة بن

---

(١) النساء : ٤٣ .

عبد المطلب فى بيت الأنصارى يشرب الخمر وقينة - مغنية - تقول فى غنائها :

ألا ياحمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء
زج السكين فى اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء
فأطعم من شرائحها كبابا ملهوجة على رهج الصلاء
فأنت أبا عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء

فوثب أسد الله إلى السيف فأجب أصنام ناقتى على بن أبى طالب وبقر خواصرهما وأخذ أكبادهما .. فلما جاء على ورأى ما وقع لناقتيه لم يملك عينيه حين رأى ذلك فقال :

- من فعل هذا ؟ .

قالوا :

- فعله حمزة وهو فى البيت فى شرب من الأنصار .

فانطلق ربيب رسول الله - ﷺ - إلى النبى عليه الصلاة والسلام فوجد عنده زيد بن محمد - زيد بن حارثة - فعرف رسول الله - ﷺ - الذى لقى فتساءل :

- **« مالك ؟ »** .

قال على بن أبى طالب :

- يارسول الله ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتى وجب أسنمتهما وبقر خواصرهما .

فتساءل أبو القاسم - ﷺ -:

- **« أين هو »** ؟.

فقال على بن أبى طالب :

- هاهو ذا فى بيت معه شرب .

فدعا خاتم الأنبياء - ﷺ - بردائه ثم انطلق يمشى فأتبع على أثره وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذى هو فيه فاستأذن فأذن له فإذا هم شرب فطفق رسول الله - ﷺ - يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر أبو عمارة إلى النبى - ﷺ - ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال :

- وهل أنتم إلا عبيد أبى ؟ .

فعرف نبى الرحمة - ﷺ - أنه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى وخرج فخرج على وزيد ..

ونزل قوله تعالى : ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ ﴾[1].

فقال رسول الله - ﷺ -:

- « حرمت الخمر » .

ولما قرئت على عمر بن الخطاب قال :

- انتهينا .

وكان أنس بن مالك خادم رسول الله - ﷺ - ساق القوم يوم حرمت الخمر فى بيت أبى طلحة كان يسقى أبا عبيدة بن الجراح وأبى بن كعب وسهيل بن بيضاء ونفر من الصحابة حتى كاد الشراب أن يأخذ بعقولهم فإذا مناد ينادى فقال أبو طلحة - زيد بن سهل بن الأسود زوج أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك -:

- أخرج فانظر .

فخرج خادم رسول الله - ﷺ - فإذا مناد ينادى :

- ألا إن الخمر قد حرمت .

فرجع أنس بن مالك فأخبر أبا طلحة فقال أبو عبيدة وأبى بن كعب :

- ياأنس اكف ما بقى فى إنائك .

لم يقل أحد من الصحابة :

- حتى ننظر .

أو قال أحدهم :

- حتى نسأل .

بل أطاعوا وغدوا يهرقون ما عندهم من الخمر . يقول أنس بن مالك :

- قال أبو طلحة : ياأنس قم إلى هذ الجرار فأهرقها فأهرقتها .

وتوضأ بعض الصحابة واغتسل بعضهم وطيبوا ثم خرجوا إلى المسجد

---

(١) المائدة : ٩٠ - ٩١ .

فإذا رسول الله - ﷺ - يقرأ قوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ** ﴾ .

ثم قال - ﷺ -:

- « **من كان عنده من هذه الخمر فيأتنا بها** » .

فجعلوا يأتونه فيقول أحدهم :

- عندى راوية .

ويقول الآخر :

- عندى زق .

أو ما شاء الله أن يكون عنده فقال رسول الله - ﷺ -:

- « **اجمعوا ببقيع كذا وكذا ثم آذنونى** » .

ففعلوا ثم آذنوه فقام وقام معه عبد الله بن عمر ومشى عن يمينه وهو متكى عليه فلحقهما أبو بكر الصديق فأخره أبو القاسم - ﷺ - فجعله عن شماله وجعل أبا بكر فى مكانه ثم ألحقهم عمر بن الخطاب فأخر رسول الله - ﷺ - عبد الله بن عمر وجعل عمر عن يساره فمشى بينهما حتى بلغوا المربد فإذا بزقاق على المربد فيها خمر فقال للناس :

- « **أتعرفون هذا ؟** » .

فقال المسلمون :

- نعم يارسول الله هذه الخمر .

فقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « **صدقتم فإن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها** » .

ودعا رسول الله - ﷺ - بالمدينة فقال :

- « **اشحذوها** » .

ففعلوا .. ثم أخذها النبى عليه الصلاة والسلام يخرق بها الزقاق فقال المسلمون :

- فى هذه الزقاق منفعة .

فقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« أجل ولكنى إنما أفعل ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سخطه »** .

فقال الفاروق :

- أنا أكفيك يارسول الله .

فقال رسول الله - ﷺ -:

- « لا » .

وجرت الخمر فى سكك المدينة أنهارا . وكان تحريم الخمر بالمدينة بعد غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة وتساءل أصحاب رسول الله - ﷺ -:

- يارسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ .

أرادوا أن يتساءلوا عن موقف أصحابهم الذين ماتوا قبل تحريم الخمر ..

فأنزل الله تعالى : **﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾**[1].

يقول عبد الله بن عباس :

- لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك .

ويقول عبد الله بن عمر :

- نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ما منها شراب العنب .

وقال أنس بن مالك :

- إن الخمر حرمت يومئذ من البسر - رطب التمر - والتمر .

وفى لفظ البخارى :

- وحرمت علينا حين حرمت وما نجد خمر الأعناب إلا قليلا وعامة خمرنا البسر والتمر .

---

(١) المائدة : ٩٣ .

وقال رسول الله - ﷺ -:

- **« إن من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا »** .

وسئل خاتم الأنبياء - ﷺ - عن البتع - وهو نبيذ العسل - وكان أهل اليمن يشربونه فقال :

- **« كل شراب أسكر فهو حرام »** .

وسأل عبد الله بن قيس - أبو موسى الأشعرى - النبى عليه الصلاة والسلام :

- يانبى الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن : البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ؟ .

فقال الذى أعطى جوامع الكلم - ﷺ -:

- **« كل مسكر حرام »** .

وسأل رجل من جيشان - جيشان من اليمن - رسول الله - ﷺ -:

- يارسول الله إنا نشرب بأرضنا شرابا يقال لها المرز يصنع من الذرة ؟ .

فقال رسول الله - ﷺ -:

- **« أمسكر هو ؟ »** .

قال الرجل اليمنى :

- نعم .

قال أبو القاسم - ﷺ -:

- **« كل مسكر حرام إن على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال »** .

فقال أصحاب رسول الله - ﷺ -:

- وما طينة الخبال ؟ .

قال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« عرق أهل النار أو عصارة أهل النار »** - القيح والدم -.

ونهى رسول الله - ﷺ - عن الانتباذ فى الدباء - القرع وهو من الآنية التى يسرع الشراب فى الشدة إذا وضع فيها - وفى الحنتم - وهو ما يصنع من التراب من الفخار وهو الجرة - ونهى عن النقير - الخشب الذى ينقر فكانوا

يأخذون أصل النخلة فينقرونه فى جوفه ويجعلونه إناء ينتبذون فيه لأن له تأثير فى شدة الشراب – ونهى عن المزفت – الظرف المزفت وهو الإناء المطلى بالزفت – وأمرهم أن ينتبذوا فى الظروف الموكاة – الأوعية المغطاة – وهو أن ينقع التمر أو الزبيب فى الماء حتى يحلو فيشرب حلوا قبل أن يشتد .

وقال رسول الله – ﷺ –:

– **« كل مسكر خمر وكل خمر حرام . ما أسكر كثيره فقليله حرام »** .

ووقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على المنبر فقال :

– أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهو خمسة : من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر – غطاه وستر – العقل .

تشديد الإسلام فى تحريم الخمر :

إن تحريم الخمر يتفق مع تعاليم الإسلام الحنيف التى تستهدف إيجاد شخصية قوية فى جسمها ونفسها وعقلها والخمر تضعف الشخصية وتذهب بمقوماتها ولاسيما العقل .

قال أحد الشعراء :

شربت الخمر حتى ضل عقـ ـلى كذاك الخمر تفعل بالعقول

وإذا ذهب العقل تحول المرء إلى حيوان مفترس شرير ارتكب الفحش وإفشاء الأسرار والعدوان والقتل وإذا تكلم لا يفقه ولا يعلم ما يقول :

الترهيب من شرب الخمر :

قال رسول الله – ﷺ –:

– **« من شرب الخمر فى الدنيا يحرمها فى الآخرة »** .

مدمن الخمر كعابد وثن :

قال رسول الله – ﷺ –:

– **« مدمن الخمر كعابد وثن »** .

وقال أبو القاسم – ﷺ –:

– **« مدمن الخمر إن مات لقى الله كعابد وثن »** .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى – ﷺ –:

– **« من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن »** .

وقال رسول الله - ﷺ -:

- **« من مات مدمنا للخمر مات كعابد اللات والعزى »** .

فقال بعض الصحابة :

- يارسول الله أرأيت مدمن الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها ؟ .

فقال النبى - ﷺ -:

- **« لا ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين »** .

وقال رسول الله - ﷺ -:

- **« أشهد بالله وأشهد بالله لقد قال لى جبريل : يامحمد إن مدمن الخمر كعابد وثن »** .

وقال عليه الصلاة والسلام :

- **« أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان شرب الخمر وملاحاة الرجل - مقاومته ومخاصمته - »** .

وإذا مات مدمن الخمر ولم يتب يدخل النار .. قال رسول الله - ﷺ -:

- **« لا يدخل الجنة عاق - العاق الذى يعوق والديه - ولا مدمن خمر »** .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث وهو الذى يقر السوء فى أهله »** .

السكران لا تقبل منه حسنة .. قال النبى عليه الصلاة والسلام :

- **« ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء : العبد الآبق - الهارب - حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عليها والسكران حتى يصحو »** .

وقال - ﷺ -:

- **« ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر »** .

وقال الهادى البشير - ﷺ -:

- **« أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن**

الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه » .

وقال - ﷺ -:

- « من مات من أمتى وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها فى الجنة ومن مات من أمتى وهو يتحلى الذهب حرم الله عليه لباسه فى الجنة » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر وهو سكران وبعث من قبره سكران وأمر به إلى النار سكران فيه عين يجرى منها القيح والدم وهو طعامهم وشرابهم مادامت السموات والأرض » .

من شرب الخمر لا يكون مؤمنا حين يشربها ... قال رسول الله - ﷺ -:

- « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد » .

وقال - ﷺ -:

- « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « من شرب خمراً خرج نور الإيمان من جوفه » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « إذا تناول العبد كأس الخمر بيده ناشده الإيمان بالله لا تدخله على فإنى لا أستقر أنا وهو فى وعاء واحد فإن أبى وشربه نفر الإيمان منه نفرة لن يعود إليه أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه وسلبه من عقله شيئا لا يعود إليه أبدا » .

وقال الهادى البشير - ﷺ -:

- « من شرب الخمر ممسيا أصبح مشركا ومن شربها مصبحا أمسى مشركا » .

الخمر مفتاح كل شر :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر** » .

يقول أبو الدرداء :

- أوصانى خليلى - ﷺ - : « لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر » .

وقال خباب بن الأرت :

- قال لى رسول الله - ﷺ -: « **إياك والخمر فإن خطيئتها تفرع الخطايا كما أن شجرتها تفرع الشجرة** » .

وقال رسول الله - ﷺ -:

- « **الخمر أم الفواحش والكبائر ومن شربها وقع على أمه وخالته وعمته** » .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعمته وخالته** » .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- « **الخمر أم الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوما فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية** » .

من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة إلا أن يتوب** ».

وقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « **من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة** » .

من شرب الخمر لم تقبل له صلاة :

حذر رسول الله - ﷺ - من شرب أم الخبائث فقال :

- « **من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا وإن مات دخل النار فإن تاب تاب الله عليه وإن عاد فشرب فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن مات دخل النار فإن تاب تاب الله عليه وإن عاد فشرب فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن مات دخل النار فإن تاب تاب**

الله عليه وإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة » .

قال الصحابة :

- يارسول الله وما ردغة الخبال ؟ .

قال - ﷺ -:

- **« عصارة أهل النار »** .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو »** .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« من شرب حسوة من خمر لم يقبل الله منه ثلاثة أيام صرفا ولا عدلا ومن شرب كأسا لم تقبل صلاته أربعين صباحا - الخمر تبقى فى عروقه وأعضائه أربعين يوما - ومدمن الخمر حقا على الله أن يسقيه من نهر الخبال »** .

قيل :

- يارسول الله وما نهر الخبال ؟ .

قال - ﷺ -:

- **« صديد أهل النار »** .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- **« كل مخمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست - نقصت - صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقا على ألله أن يسقيه من طينة الخبال »** .

قيل :

- ما طينة الخبال يارسول الله ؟ .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

- **« صديد أهل النار ومن سقاه صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال »** .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« من شرب الخمر فجعلها فى بطنه لم يقبل الله له صلاة سبعا فإن**

مات فيهن مات كافرا فإن أذهبت عقله عن شىء من الفرائض لم تقبل له صلاة أربعين يوما فإن مات فيهن مات كافرا » .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« من شرب الخمر بعد أن حرمها الله تعالى على لسانى فليس له أن يزوج إذا خطب ولا يشفع إذا شفع ولا يصدق إذا حدث ولا يؤتمن على أمانة فإن أؤتمن أمانة فأكلها أو استأكلها فليس لصاحبها على الله أن يأجره ولا يخلف عليه »** .

وقال - ﷺ -:

- **« من ترك الصلاة سكرا مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها ومن ترك الصلاة أربع مرات سكرا كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال »** .

قيل :

- وما طينة الخبال ؟ .

قال الهادى البشير - ﷺ -:

- **« عصارة أهل جهنم »** .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- **« من شرب الخمر فى الدنيا ثم مات وهو يشربها لم يتب منها حرمها الله عليه فى الآخرة »** .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« من شرب الخمر صباحا كان كالمشرك بالله حتى يمسى وكذلك إن شربها ليلا كان كالمشرك بالله حتى يصبح ومن شربها حتى يسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا ومن مات وفى عروقه منها شىء مات ميتة جاهلية »** .

وقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« من مات وهومدمن الخمر لقى الله تعالى مسود الوجه مظلم الجوف لسانه ساقط على صدره يقذره الناس »** .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- **« من مات وفى بطنه ريح الفضيخ - شراب يتخذ من البسر الفضوخ**

أى المشدوخ – فضحه الله على رءوس الأشهاد يوم القيامة » .

وقال رسول الله – ﷺ –:

– « الخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنبة » .

وقال أبو القاسم – ﷺ –:

– « من العنب خمر ومن العسل خمر ومن الزبيب خمر ومن الحنطة خمر وأنا أنهى عن كل مسكر » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

– « الخمر تعلو الخطايا كما أن شجرها يعلو الشجر » .

وقال نبى الرحمة – ﷺ –:

– « الخمر من العنب والسكر من التمر والمرز من الذرة والغبيراء من الحنطة والبتع – نبيذ العسل وهو خمر أهل اليمن – من العسل كل مسكر حرام والمكر والخديعة فى النار والبيع عن تراض » .

وقال النبى – ﷺ –:

– « من وضع الخمر على كفه لم تقبل له دعوة ومن أدمن على شربها سقى من الخبال واد فى جهنم » .

وقال الهادى البشير – ﷺ –:

– « حلف الله بعزته وقدرته لا يشرب عبد مسلم شربة من خمر إلا سقيته بما انتهك منها من الحميم معذب بعد أو مغفور ولا يتركها وهو عليها قادر ابتغاء مرضاتى إلا سقيته منها – فى الجنة – فأرويته فى حظيرة القدس » .

وقال رسول الله – ﷺ –:

– « يخرج شارب الخمر من قبره يوم القيامة متورم بطنه متورم شدقاه مدلع – يخرجه حتى ترى حمرته – لسانه يسيل لعابه على بطنه نار فى بطنه تأكله حتى يفرغ من الخلائق » .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– « يلقى الله شارب الخمر يوم القيامة حين يلقاه وهو سكران فيقول : ويلك ما شربت ؟ فيقول :الخمر فيقول : ألم أحرمها عليك ؟ فيقول : بلى فيؤمر به إلى النار » .

تحريم بيع الخمر :

كان الصحابى الجليل تميم الدارى يهدى إلى النبى - ﷺ - كل عام راوية خمر فلما كان عام حرمت أهدى له راوية خمر فضحك نبى الرحمة - ﷺ - وقال :

- **« إنها قد حرمت »** .

فقال تميم الدارى :

- فأبيعها .

قال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« إنه حرام شراؤها وثمنها »** .

فقال تميم الدارى :

- يارسول الله إنى اشتريت خمر أيتام فى حجرى .

فقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« أهرق الخمر واكسر الدنان »** .

فقال تميم الدارى :

- يارسول الله إنها لأيتام .

فقال رسول الله - ﷺ -:

- **« أهرق الخمر واكسر الدنان »** .

وسئل النبى عليه الصلاة والسلام عن بيع الخمر فقال :

- **« لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها »** .

وقال الهادى البشير - ﷺ -:

- **« إن الذى حرم شربها حرم بيعها يعنى الخمر »** .

وقال رسول الله - ﷺ -:

- **« ثمن الخمر حرام ومهر البغى حرام وثمن الكلب حرام وإن أتاك صاحب الكلب يلتمس ثمنه فاملأ يديه ترابا والخمر والميسر حرام وكل مسكر حرام »** .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى - ﷺ -:

- **« إن الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه »** .

وقال النبي - ﷺ -:

- « **إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام** » .

وبلغ أمير المؤمنين عمر أن رجلا أثرى من بيع الخمر فقال :

- اكسروا كل آنية له وكل شيء قدرتم عليه وسيروا كل ماشية له ولا يورثن أحد له شيئا .

وعلم الفاروق أن سمرة بن جندب باع خمرا فقال :

قاتل الله سمرة أما علم أن رسول الله - ﷺ - قال : « **قاتل الله اليهود حرم الله عليهم الشحوم فجملوها فباعوها** » .

ولما بلغ أبو حفص أن عماله يأخذون الخمر فى الجزية فنشدهم ثلاثا .

فقيل له :

- إنهم ليفعلون .

فقال أمير المؤمنين عمر :

- لا تفعلوا ولكن ولوهم فى بيعها وخذوا أنتم من الثمن فإن اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها .

لعنت الخمر على عشرة أوجه :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **لعنت الخمر على عشرة أوجه : بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وشاربها وساقيها** » .

وقال - ﷺ -:

- « **أتانى جبريل فقال : يامحمد إن الله عز وجل لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومستقيها** » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « **إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها** » .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **إن الله لعن الخمر ولعن شاربها ولعن عاصرها ولعن مؤديها ولعن**

مديرها ولعن ساقيها ولعن حاملها ولعن آكل ثمنها ولعن بائعها » .

وقال - ﷺ -:

- « **إن الله لعن الخمر وعاصرها والمعتصر والجالب والمجلوب إليه والبائع والمشترى والساقى والشارب وحرم ثمنها على المسلمين » .**

فشارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله فإن اشتراها وعصرها كان ملعونا مرتين وإن سقاها لغيره كان ملعونا ثلاث مرات » .

النهى عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا :

نهى رسول الله - ﷺ - عن عيادة شربة الخمر وكذلك لا يسلم عليهم فقال :

- « **لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا » .**

وقال :

- « **لا تسلموا على شربة الخمر » .**

وقال - ﷺ -:

- « **لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودا وجهه مدلعا لسانه على صدره يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه شارب خمر » .**

شارب الخمر يوم القيامة :

قال رسول الله - ﷺ -:

- « **من كان فى صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يرفعه بين يدى الله تبارك وتعالى فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصم فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة » .**

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « **ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر : يافلان لا جزاك الله عنى خيراً فأنت الذى أوردتنى هذا المورد ويقول له الآخر مثل ذلك » .**

وشارب الخمر يتساقط لحم وجهه وجلده .. قال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه فى الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء فى اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوماً ولا حجا حتى يتوبوا فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام » .**

الخمر يسمونها بغير اسمها :

قال الذى لا ينطق عن الهوى - ﷺ -:

- **« لا تذهب الليالى والأيام حتى يشرب فيها طائفة من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها » .**

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- **« يشرب ناس من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه » .**

لقد رأى رسول الله - ﷺ - بعين النبوة ما يحدث فى زماننا هذا وبعد أكثر من ألف وربعمائة سنة .. فشاربو الخمر يسمونها باسماء عصرية : الصرما والسويقة - تصنع من الجزر - والبتع - يصنع من العسل - والنصوح والخليطين - خلط التمر والزبيب والبسر والتمر إذا أسكر - كما اتخذت الخمر صورا جديدة على هيئة سموم بيضاء ومخدرات و ...

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« ليستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه » .**

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« ستشرب أمتي من بعدى الخمر يسمونها بغير اسمها يكون عونهم على شربها أمراؤهم » .**

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« ان أمتي يشربون الخمر فى آخر الزمان يسمونها بغير اسمها » .**

وقال عليه الصلاة والسلام :

– « يكون فى آخر أمتى شراب وهو الخمر يستحلونه باسم يسمونه غير الخمر » .

هل يحل التداوى بالخمر ؟؟ .

اشتكت – مرضت – ابنة لأم المؤمنين أم سلمة فنبذت – صنعت لها نبيذا – فى كوز فدخل أبو القاسم – ﷺ – وهو يغلى فتساءل :

– « ما هذا يا أم سلمة ؟ » .

فقالت هند بنت أبى أمية :

– إنى أداوى به ابنتى .

قال الصادق المصدوق – ﷺ –:

– « إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها » .

فالتداوى بالخمر لإزالة العطش والغصة يحرم تناولها لدواء وعطش فإن الله لما حرم الخمر سلبها المنافع ويجوز التداوى بالخمر بالقدر الذى لا يسكر أى للضرورة وبقدرها .

والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر بل هى أخبث من الخمر فهى تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد فهذه الحشيشة الملعونة المسكرة بمنزلة غيرها من المسكرات والمسكر منها حرام فكل ما يزيل العقل فإنه محرم سواء كان المسكر مأكولا أو مشروبا أو جامدا أو مائعا .

أهم أنواع الخمور :

توجد الخمور فى الأسواق بأسماء مختلفة ومنها :

البراندى والوسكى والروم والليكير وغيرها وتبلغ نسبة الكحول فيها ما بين ٤٠ إلى ٦٠٪

أما الجن والهولاندى والجنيفا فتبلغ نسبة الكحول من ٣٣ إلى ٤٠٪ .

أما البورت والشرى والماديرا فتحتوى على ١٥ إلى ٢٥٪

وتحتوى الخمور الخفيفة مثل : الكلارت والهوك والشمبانيا والبرجاندى على ١٠ إلى ١٥٪ كحول أما البيرة فتحتوى على ٢ إلى ٩٪ كحول كذلك البوظة والقصب المتخمر يحتوى على نفس النسبة من الكحول .

شرب العصير والنبيذ قبل التخمر :

يجوز شرب العصير والنبيذ قبل غليانه – الغليان : الاختمار .

قال الصحابى الجليل أبو هريرة :

– علمت أن النبى – ﷺ – كان يصوم فتحينت فطره بنبيذ صنعته فى دباء ثم أتيته به فإذا هو ينش – يغلى – فقال : **« اضرب بهذا الحائط فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر »** .

وكا عبد الله بن عمر يقول فى العصير :

– أشربه مالم يأخذه شيطانه .

قيل :

– وفى كم يأخذه شيطانه ؟ .

قال ابن عمر :

– فى ثلاث .

وكان عبد الله بن عباس ينقع للنبى – ﷺ – الزبيب فيشربه اليوم والغد وبعد الغد إلى مساء اليوم الثالثة ثم يأمر به فيسقى الخادم أو يراق .

وكانت أم المؤمنين عائشة تنتبذ لرسول الله – ﷺ – غدوة فإذا كان العشى فتعشى شرب على عشائه وإن فضل شىء صبته أو أفرغته ثم تنتبذ له بالليل فإذا أصبح تغدى فشرب على غدائه قالت عائشة :

– كنت أغسل السقاء غدوة وعشية .

وهذا لا ينافى ما كان يفعله عبد الله بن عباس أن رسول الله – ﷺ – كان يشرب اليوم والغد وبعد الغد إلى المساء .

ومن المعروف من سيرة خاتم الأنبياء – ﷺ – أنه لم يشرب الخمر قط لا قبل البعثة ولا بعدها وإنما كان شرابه من هذا النبيذ الذى لم يتخمر بعد .

الخمر والغناء والمعازف :

قال رسول الله – ﷺ –:

– **« بعثت بهدم المزامير والطبل »** .

وقال خاتم الأنبياء – ﷺ –:

– **« من جلس إلى قينة – جارية مغنية – يسمع منها صب فى أذنه**

الأنك - الرصاص المذاب - يوم القيامة » .
وقال الهادى البشير - ﷺ -:
- « **من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين** » .
فتساءل الصحابة :
- ومن الروحانيون يارسول الله ؟ .
قال أبو القاسم - ﷺ -:
- « **قراء أهل الجنة** » .
ونهى رسول الله - ﷺ - أصحابه أن يصلوا على من مات وعنده جارية مغنية فالغناء الذى يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والمجون الذى يبعث الساكن هو لهو الحديث .. يقول تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا** ﴾[1].
فلو ا جتمعت الخمر والغناء والمعازف كانت الطامة الكبرى ... يقول خاتم الأنبياء - ﷺ -:
- « **يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رءوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل الله منهم القردة والخنازير** » .
وقال - ﷺ -:
- « **إن الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين بعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية وأقسم ربى تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ولا يدعها عبد من عبيدى من مخافتى إلا سقيته إياها فى حظائرَ القدس مع خير الندماء** » .
وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:
- « **ليكونن فى هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف** » .
وقال - ﷺ -:
- « **يمسخن قوم على أريكتهم - الأريكة كل ما تكىء عليه من سرير**

---

(١) لقمان : ٦ .

أو فراش أو منصة – قردة وخنازير لشربهم الخمر وضربهم بالبرانط – البرنط ملهاة تشبه العود – والقيان » .

وقال نبى الرحمة – ﷺ –:

– **« فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف »** .

فتساءل رجل من الأنصار :

– متىٰ ذلك يارسول الله ؟ .

قال أبو القاسم – ﷺ –:

– **« إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور »** .

سمع عبد الله بن عمر صوت زمارة فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وقال لغلامه :

– يانافع أتسمع ؟ .

قال نافع :

– نعم .

فمضى الصحابى الجليل ابنْ عمر وسأل خادمه :

– يانافع أتسمع ؟ .

فقال نافع :

– لا .

فنزع عبد الله بن عمر يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال :

– رأيت رسول الله – ﷺ – سمع صوت زمارة راع فصنع مثل هذا .

وسمع الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود غناء فأسرع حتى لا يسمع فبلغ ذلك رسول الله – ﷺ – فقال :

– **« لقد أصبح ابن أم عبد كريما – ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[1]** .

فإذا كان هذا فعل صحابة رسول الله – ﷺ – فى حق صوت لا يخرج عن الأعتدال فكيف بغناء اليوم وهو مزمور الشيطان ينبت النفاق فى القلب ؟ .

جاء شاب باكيا حزينا عبد الملك بن مروان فقال :

– ياأمير المؤمنين إنى ارتكبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة ؟ .

---

(١) الفرقان : ٧٢ .

فتساءل عبد الملك بن مروان :

– وما ذنبك ؟ .

قال الشاب :

– ذنبى عظيم .

فقال أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان :

– وماهو فتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .

فقال الشاب :

– ياأمير المؤمنين نبشت ليلة قبرا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول فى القبر : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة ؟ فقلت : لماذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفيا بالصلاة هذا جزاء مثله ثم نبشت قبرا آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لى : ألا تسأل عن عمله ولماذا يعذب ؟ فقلت : لماذا ؟ قال : كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة والثالث ياأمير المؤمنين نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتاد من نار وأخرج لسانه من قفاه فخفت ورجعت وأردت الخروج فنوديت : ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز – لا توق – من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله والرابع ياأمير المؤمنين نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارا فخفت منه وأردت الخروج فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟ فقلت : وما حاله ؟ فقيل : كان تراكا للصلاة والخامس ياأمير المؤمنين نبشت قبرا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سرير وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتنى منه هيبة وأردت الخروج فقيل لى : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة ؟ فقلت : لماذا أكرم ؟ فقيل لى : لأنه كان شابا طائعا نشأ فى طاعة الله عز وجل وعبادته .

فقال عبد الملك بن مروان :

– إن فى هذا لبعرة للعاصين وبشارة للطائعين .

ألا يجب على المبتلى بهذه المعاصى البادرة إلى التوبة والطاعة ؟ جعلنا الله وإياكم من الطائعين وجنبنا أفعال وسبل الفاسقين .

قال الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود :

– إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوبا .

وحضر الفضيل بن عياض عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها عليه فقال :

– لا أقولها وأنا برىء منها .

فخرج الفضيل بن عياض من عنده وهو يبكى ثم رآه بعد مدة فى منامه وهو يسحب به إلى النار .

فقال له :

– يامسكين بم نزعت منك المعرفة ؟ .

فقال التلميذ :

– ياأستاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء فقال لى : تشرب فى كل سنة قدحا من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك فكنت أشربها فى كل سنة لأجل التداوى فهذا حال من يشربها للتداوى .

فكيف حال من يشربها لغيرة ذلك ؟ .

وسئل بعض التائبين – كانوا يشربون الخمر ثم تابوا – عن سبب توبته فقال :

– كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر فى الدنيا وماتوا من غير توبة .

وقال بعض الصالحين :

– مات لى ولد صغير فلما دفنته رأيته بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه فقلت : ياولدى دفنتك وأنت صغير فما الذى شيبك ؟ فقال : ياأبتى دفن إلى جانبى رجل ممن كان يشرب الخمر فى الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها .

ويجب على أولى الأمر أن يمنعوا بيع الخمر وأن يغلقوا محلات بيعها حتى فى القرى السياحية فلن يمنع ذلك قدوم السائحين وأن يتوب العبد إلى الله

تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على شر حاله فيلقى فى النار نعوذ بالله منها ونسأله العفو والعافية .

تعاطى المخدرات والإتجار بها :

إن المخدرات وما يزيل العقل مثل الحشيش والأفيون والهيروين وغيرها حرام لأنها مسكر فكل مسكر خمر وكل خمر حرام . وتعاطى هذه المخدرات أو الإتجار بالمواد المخدرة أو زراعة الخشخاش والحشيش بقصد البيع أو استخراج المادة المخدرة منها حرام لأنها تفسد العقل وتفتك بالبدن وأعظم ضرا بالخلق والدين وقد ورد عن رسول الله – ﷺ – أحاديث كثيرة فى تحريم بيع الخمر فقال – ﷺ –:

– **« إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام »** .

وعلى ذلك فتعاطى الحشيش والأفيون والكوكايين ونحوها من المواد المخدرة حرام كذلك الإتجار فيها وكذلك الربح الناتج منها حرام خبيث وإن انفاقه فى الصدقات والقربات غير مقبول قال – ﷺ –:

– **« من كسب مالا حراما فتصدق به لم يكن له أجر وكان اصره – اثمه وعقوبته – عليه »** .

وقال الهادى البشير – ﷺ –:

– **« من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك جمعا ثم قذف به فى نار جهنم »** .

حتى إذا أنفق هذا المال فى الحج رد عليه ولم يقبل منه قال رسول الله – ﷺ –:

– **« إنه إذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز – الركاب – وقال : لبيك ناداه ملك من السماء : لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك »** .

حد الخمر :

قال رسول الله – ﷺ –:

– **« من شرب بصقة من خمر فاجلدوهم ثمانين »** .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- **« اجلدوا فى قليل الخمر وكثيره فإن أولها حرام وآخرها حرام »** .

وقال الهادى البشير - ﷺ -:

- **« إذا سكر فاجلدوه ثم إن سكر فاجلدوه ثم إن سكر فاجلدوه فإن عاد الرابعة فاقتلوه »** .

وقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثم إن شربوها فاجلدوهم ثم إن شربوها فاجلدوهم ثم إن شربوها فاقتلوهم »** .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى - ﷺ -:

- **« من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد الثاية فاجلدوه فإن عاد الثالثة فاجلدوه فإن عاد الرابعة فاقتلوه »** .

وقال - ﷺ -:

- **« إذا شرب الخمر فاجلدوه ثم إذا شرب فاجلدوه ثم إذا شرب فاجلدوه ثم إذا شرب فاجلدوه ثم إذا شرب الرابعة فاضربوا عنقه »** .

وأتى بشارب خمر رسول الله - ﷺ - يوم حنين فقال :

- **« قوموا فاضربوه بنعالكم »** .

والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر فلقد فرح إبليس اللعين بمجىء هذه الحشيشة - جلبها التتار إلى بلاد الإسلام - فزينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا ... عشت فى أكلها بأقبح عيشة

قيمة المرء جوهر فلماذا ... يأخا الجهل بعته بحشيشة

ويقام الحد على شارب الخمر إذا أقر بالشرب أو شهد رجلان مسلمان عدلان عليه ولا يحد بمجرد وجود رائحة الخمر فى فيه لإحتمال أنه شربها من باب الخطأ أو مكرها .

ولا يقام حد شرب الخمر على شاربها فى حال سكره لأن المقصود هو الزجر والتنكيل وحصوله بإقامة الحد عليه فى صحوة أتم فينبغى أن يؤخر إليه .

وإذا شرب إنسان الخمر مكرها فلا حد عليه سواء كان هذا الإكراه بالتهديد بالقتل أو بالضرب المبرح أو بإتلاف المال كله لأن الإكراه يرفع عند

الأثم .. قال رسول الله - ﷺ -:

- « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

ويدخل فى دائرة الأكراه الاضطرار فمن لم يجد ماء وعطش عطشا شديدا يخشى عليه منه التلف ووجد خمرا فله أن يشربها لأن الخمر ضرورة حينئذ يتوقف عليها الحياة يقول تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِن اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

فالاضطرار لا يخلو أن يكون من ظالم أو بجوع أو عطش فى مخمصة ومعناه أكره وغلب على أكل أو شرب هذه المحرمات لعجزه عن جميع المباحات فصار عدم المباح شرطا فى استباحة المحرم .. فقد خرج عبد الله بن حذافة ومعه ثمانون من المسلمين ليتحسسَ أخبار الروم فوقع هو ومن معه أسرى فى أيدى بنى الأصفر فحبسه طاغيتهم فى بيت فيه ماء ممزوج بخمر ولحم خنزير مشوى ليأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر وتركه ثلاثة أيام فلم يأكل ولم يشرب فأخرجوه من محبسه خشية موته فقال لهم عبد الله بن حذافة :

- والله لقد كان الله أحله لى فإنى مضطر ولكن لم أكن لأشمتكم بدين الإسلام .

---

(١) البقرة : ١٧٣ .

يسألونك ماذا أحل لهم

قال رسول الله - ﷺ -:

- **« طلب الحلال فريضة على كل مسلم »** .

ورغب أبو القاسم - ﷺ - فى طلب الحلال والأكل منه فقال لأصحابه يوما :

- **« من أكل طيبا وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة »** .

فقالوا :

- يارسول الله إن هذا فى أمتك اليوم كثير .

فقال - ﷺ -:

- **« وسيكون فى قرون بعدى »** .

وقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- **« إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يٰأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[1] وقال : ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[2] »** .

وجلس رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ - فى مسجده وأخذ يتلو قوله تعالى : **﴿ يٰأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مما فِى الأَرضِ حَلالاً طَيِّباً ﴾**[3] فقام سعد بن أبى وقاص فقال :

- يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة .

فقال طبيب القلوب والعقول - ﷺ -:

- **« ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت - حرام - فالنار أولى به »** .

وذات يوم كان رسول الله - ﷺ - جالسا ومعه على بن أبى طالب

---

(١) المؤمنون : ٥١ . (٢) البقرة : ١٧٢ . (٣) البقرة : ١٦٨ .

فأقبل رجل من أهل العالية فقال :

- يارسول الله أخبرنى بأشد شىء فى هذا الدين وألينه .

فقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **ألينه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأشده ياأخا العالية الأمانة إنه لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة له ولا زكاة له ياأخا العالية إنه من أصاب مالا من حرام فلبس منه جلبابا يعنى قميصا لم تقبل صلاته حتى ينحى ذلك الجلباب عنه إن الله تبارك وتعالى أكرم وأجل ياأخا العالية من أن يقبل عمل رجل أوصلاته وعليه جلباب من حرام** » .

وقال - ﷺ -:

- « **أيما رجل كسب مالا من حلال فأطعم نفسه أو كساها فمن دونه من خلق الله فإن له به زكاة** » .

لقد سمى الحلال حلالا لإنحلال عقدة الحظر عنه ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم ولا يكون المال حلالا حتى يصفو من ست خصال : الربا والحرام والسحت والغلول والمكروه والشبهة .

ولما ذكر النبى عليه الصلاة والسلام الحريص على الدنيا قال :

- « **رب أشعث أغبر مشرد فى الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يده فيقول : يارب يارب فأنى يستجاب لذلك ؟** » .

وقال نبى الرحمة لأصحابه يوما :

- « **استحيوا من الله حق الحياء** » .

فقالوا :

- يانبى الله إنا لنستحى والحمد لله .

فقال طبيب القلوب والعقول - ﷺ -:

- « **ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء** » .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- « **إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة : من أكل حراما لم يقبل منه صرف - نافلة - ولا عدل - فريضة** » .

وذكر رسول الله - ﷺ - فضيلة الحلال لأصحابه يوما فقال :

- **« من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء »** .

وقال الهادى البشير - ﷺ -:

- **« من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وزهده الله فى الدنيا »** .

وذم رسول الله - ﷺ - الحرام فقال :

- **« من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه منه شىء »** .

وقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- **« من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار »** .

وقال - ﷺ -:

- **« إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وأن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لا يسلم أولا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه »** .

فقالوا :

- وما بوائقه ؟ .

قال - ﷺ -:

- **« غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله تعالى لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث »** .

وكان الصحابة يعلمون أن العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال ولذلك كانوا لا يأكلون إلا حلالا فقد شرب الصديق يوما لبنا من كسب مملوكه - عبده - فقال المملوك :

- مالك كنت تسألنى كل ليلة إذا أحضرت لك طعاما من أين هذا ؟

لِمَ لم تسألنى الليلة ؟ .
قال أبو بكر الصديق :
- حملنى على ذلك الجوع .
ثم نظر أبو بكر إلى العس - القدح - وتساءل :
- من أين جئت بهذا ؟ .
فقال المملوك :
- تكهنت لقوم - فعلت لهم شيئا من السحر - فأعطونى هذا اللبن .
فوثب أبو بكر وكأن عقربا لدغته وأدخل أصابعه فى فيه وجعل يقىء .
يقول المملوك :
- جعل يقىء حتى ظننت أن نفسه ستخرج .
ثم قال أبو بكر لمملوكه معاتبا :
- إن كدت أن تهلكنى .
فقال المملوك :
- يرحمك الله كل هذا من أجل شربة لبن ؟ .
فقال أبو بكر الصديق :
- لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **كل جسد - لحم - نبت من سحت - حرام - فالنار أولى به** » ..وإنى خشيت أن ينبت شىء من جسدى من هذه الشربة .

لقد كان الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا وكذلك الفاروق عمر بن الخطاب كان إذا شرب من لبن ابل الصدقة خطأً أدخل أصبعه فى فيه وتقيأ .

من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال .

وامتدح رسول الله - ﷺ - الصحابى الجليل معاذ بن جبل فقال :
- « **معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه - أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل -** » .

وكان عدى بن حاتم الطائى - كان حاتم الطائى يضرب به المثل فى الجود والكرم والسخاء - رئيسا فى قومه كريما على نفسه وعلى الناس وكان يدين

بالنصرانية فلما ظهر الإسلام وسمع به من بعد وتصوره على حقيقته أضمر له العداء وامتلأ قلبه حقدا على رسول الله - ﷺ - يقول عدى بن حاتم :

- مامن رجل من العرب كان أشد كراهية لمحمد حين سمع به منى .

وبلغ من شدة كراهيته للنبى الخاتم - ﷺ - أنه أعد خيلا جيادا على أهبة دائمة للسفر ليركبها ويفر بها إذا غشيت خيل رسول الله - ﷺ - بلاده .. وفى العام التاسع من الهجرة أرسل رسول الله - ﷺ - على بن أبى طالب إلى طيىء على رأس خمسين فارسا ليهدم القلس صنم طيىء .

فقاومه عباده فهزمهم وأحرقه وملأ أبو الحسن يده من السبى والغنائم وكان من بين السبى سفانة - لؤلؤة - بنت حاتم الطائى وأخت عدى أما عدى بن حاتم فقد ركب خيله وفر إلى الشام . ولما رجع على بن أبى طالب إلى مدينة رسول الله - ﷺ - نصح سفانة بنت حاتم أن تستشفع عند رسول الله - ﷺ - بأبيها حاتم الطائى ومآثره ففعلت ولما عرفها أبو القاسم - ﷺ - رحب بها ومن عليها بالحرية وأعطاها عطاء جزيلا أطلق لسانها بالشكر والثناء فقالت سفانة بنت حاتم :

- شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة كريم إلا وجعلك سببا لردها عليه .

ثم استضافها الرسول الكريم - ﷺ - عنده حتى تجد من تذهب فى حراسته إلى موطنها وجاء إلى المدينة وفد من عشيرتها فذهبت معه حين عاد فلقيت أخاها عدى بن حاتم فقصت عليه قصتها مع رسول الله - ﷺ - وكيف بالغ فى إكرامها والحفاوة بها فسألها عدى :

- وماذا ترين ؟ .

فقالت سفانة بنت حاتم :

- أرى أن تلحق به سريعا فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله وإن يكن ملكا فلن تذل عنده وأنت أنت .

فقال عدى بن حاتم :

- هذا هو الرأى .

وخرج عدى بن حاتم حتى أتى رسول الله - ﷺ - فسلم عليه فسأله :

- « من الرجل ؟ » .

قال ابن حاتم الطائى :

- عدى بن حاتم .

فرحب به الرسول الكريم - ﷺ - واصطحبه إلى بيته وبينما هما فى الطريق اعترضت النبى عليه الصلاة والسلام امرأة عجوز فوقف يحدثها ويلاطفها فقال عدى بن حاتم فى نفسه :

- والله ما هذا بملك .

ولما وصل أبو القاسم - ﷺ - إلى بيته فقدم إلى عدى بن حاتم وسادته ليجلس عليها فأبى عدى بن حاتم ولكن رسول الله - ﷺ - أصر على رأيه وجلس على الأرض فقال عدى بن حاتم فى نفسه :

- ليست هذه أخلاق الملوك .

وعرض النبى الخاتم - ﷺ - على عدى بن حاتم الإسلام .. وكان عدى بن حاتم نصرانياً يسير فى قومه بالمرباع فأظهره رسول الله - ﷺ - على وهمه وبين له أنه ليس على دين صحيح بل إنه يخلط بين النصرانية وشطحات الجاهلية .. فأسلم عدى بن حاتم وسأل رسول الله - ﷺ -:

- يارسول الله قد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها ؟ .

فنزل قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ واذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾[1].

وقيل نزلت هذه الآية بسبب زيد بن مهلهل وهو الذى سماه رسول الله - ﷺ - زيد الخير .

فقد سأل رسول الله - ﷺ -:

- يانبى الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وإن الكلاب تأخذ البقر والحمر والظباء فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فما يحل لنا ؟ .

---

(١) المائدة : ٤ .

فنزلت الآية : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُم الطَّيِّباتِ ﴾ يعنى الذبائح الحلال الطيبة التى ذكر اسم الله عليها والطيبات من الرزق وكل حرام ليس بطيب .

ثم أنزل السميع العليم : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وطعَامُ الذين أوتُوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ﴾[1].

أى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلتُ لكُم دِينَكُم ﴾ فقد أحل للمسلمين الطيبات التى سألوا رسول الله - ﷺ -.

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ﴾[2].

فقد جاءت اليهود النبى - ﷺ - فقالوا :

- نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل .

وأتى ناس رسول الله - ﷺ - فقالوا :

- يارسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ .

فقال خاتم الأنبياء - ﷺ -:

- « سموا الله عليه وكلوا » .

واستثنى الله تعالى فقال : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِل لَكُم ﴾ يعنى ذبيحة اليهودى والنصرانى وإن كان النصرانى يقول عند الذبح :

- باسم المسيح .

واليهودى يقول :

- باسم عزير .

---

(١) المائدة : ٥ . (٢) الأنعام : ١٢١ .

وذلك لأنهم يذبحون على الملة .

وقال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا﴾[1].

فقد اجتمع رهط من أصحاب رسول الله - ﷺ - وقالوا :

- نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح فى الأرض كما يفعل الرهبان .

فبلغ ذلك النبى - ﷺ - فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك فقالوا :

- نعم .

فقال نبى الرحمة - ﷺ -:

- « **لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتى فهو منى ومن لم يأخذ بسنتى فليس منى** » .

وقد بين لنا رسول الله - ﷺ - فضائل الكسب الحلال فقال :

- « **أفضل الأعمال الكسب من الحلال** » .

وقال أبو القاسم - ﷺ -:

- « **إذا سأل أحدكم الرزق فليسأل الحلال** » .

وقال - ﷺ -:

- « **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ -:

- « **من استطاع منكم أن لا يدخل بطنه إلا طيبا فليفعل وإن أول شيء ينتن من ابن آدم بطنه ومن استطاع منكم أن لا يصيب حراما ولو بمجمة من دم حرام لا يأتى بابا من أبواب الجنة إلا حال بينه وبين أن يدخلها** » .

وقال الشافع المشفع - ﷺ -:

- « **من طلب مكسبه من حلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين هكذا** » .

وأشار باصبعه السبابة والوسطى .

---

(١) المائدة : ٨٧ .

يسألونك عن الشهر الحرام

عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا .

يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾[1].

فعدة الشهور عند الله عز وجل اثنا عشر شهراً كما خلقها ورتبها وسماها بأسمائها على ما رتبها عليه يوم خلق السمٰوات والأرض وأنزل ذلك على أنبيائه فى كتبه المنزلة .

شهور القبط ومقابلها من شهور السريان :

أول شهور **القبط** : توت وهو أيلول وبابه وهو تشرين الأول وهاتوروهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الأول وطوبه وهو كانون الثانى وأمشير وهو شباط وبرمهات وهو آذار وبرمودة وهو نيسان وبشنس وهو آيار وبؤونه وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهوآب .

أسماء الشهور العربية :

المحرم – المؤتمر وكانت العرب تحرم الحرب والغارات فيه – **وصفر** – ناجز وصفر بالأسواق التى كانت باليمن تسمى الصفرية وكانوا يمتارون منها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقيل إنما سمى الصفر لأن المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم إلى الحرب بعد المحرم ولذلك يقول العرب : أصفرت الدار إذا خلت من أهلها – **وربيع الأول وربيع الثانى** – لإرتباع الناس والدواب فيهما لأنه تصادف حين وضع تسميتهما أن الزمن وقتها كان ربيعًا – **وجمادى الأول وجادى الثانى** – لجمود الماء فيهما فى الزمان الذى سميت به هذه الشهور – **ورجب** – لأنهم كانوا يعظمونه لأنه من الأشهر الحرم أو لخوفهم إياه يقال : رجب الشىء إذا خفته – **وشعبان** – لتشعبهم إلى مياههم وطلب الغارات بعد قعودهم عنها فى رجب – **ورمضان** – أخذ اسمه من الرمضاء وهى شدة الحر على الرمال فى الصحراء عندما سميت الشهور فيقول العرب : رمضت الحجارة إذا سخنت بوهج الشمس والوجه الآخر أنه اسم من أسماء

(١) التوبة : ٣٦ .

الله تعالى ذكره ولا يجوز أن يقال : رمضان وإنما يقال : شهر رمضان - **وشوال** - لأن الإبل كانت تشول فى ذلك الوقت بأذنابها طلبا للتلقيح والولادة (شهوة الضراب) فتشاءمت به العرب ولذلك كرهوا التزويج فيه - **ذو القعدة** - لقعودهم عن القتال لأنه شهر حرام - **ذو الحجة** - لأن الحج فيه -

و لم يكن للعرب تاريخ ثابت معين ففى أول العهد كان تاريخهم يبدأ من السنة التى بنى فيها خليل الرحمٰن عليه السلام الكعبة - تاريخ قديم يتعذر تعيينه بالضبط - إلى أن إنهار سد مأرب - كان باليمن فطال به العهد فإنهدم وتدفق الماء الذى كان محجوزاً خلفه وقد ذكره القرآن العظيم فى سورة سبأ وسماه سيل العرم فأتلف الزرع وأغرق البلاد وتفرقت القبائل وهاجرت إلى أنحاء مختلفة من العالم - فاتخذوا من هذا الحادث مبدأ للتاريخ من جديد ثم تغير التاريخ فى عام الفيل لما جاء ابرهة الأشرم ليهدم الكعبة وهو أيضا العام الذى ولد فيه خاتم الأنبياء - ﷺ - وتغير مرة أخرى فى حرب الفجار - التى كانت فى الأشهر الحرم ولفجورها ولخروجها عن قواعد الأخلاق التى كانوا يتحلون بها - وفى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بدأ التاريخ من العام الذى هاجر فيه النبى - ﷺ - من مكة إلى مدينة رسول الله - ﷺ -. ولا زال هذا التاريخ معمولا به حتى الآن وسيظل معمولا به حتى قيام الساعة .

الأشهر الحرم :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[1] وهذه الأشهر لم يذكرها القرآن الكريم ولكن عرفها لنا رسول الله - ﷺ - وهى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب - الذى بين جمادى الآخرة وشعبان - وهو رجب مضر - لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبا - وكانت مضر تحرم رجبا نفسه فلذلك قال رسول الله - ﷺ -:

- « **الذى بين جمادى وشعبان** » .

فرفع طبيب القلوب والعقول - ﷺ - ما وقع فى اسم رجب من الاختلاف بالبيان .

وكانت العرب تسمى رجب منصل الأسنة .

---

(١) التوبة : ٣٦ .

يقول أبو رجاء العطارى :

– كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجرا جمعنا حثوا من تراب ثم جئنا بالشاء فحلبنا عليه ثم طفنا به فإذا دخل شهر رجب قلنا : منصل الأسنة فلم ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة إلا نزعناها فألقيناه .

وإذا كان أول شهور الأهلة المحرم فإن أيام السنة العربية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السنة السريانية – الأفرنجية – أحد عشر يوما وربع يوم فتفرق السنة القمرية عن السنة الشمسية فى كل ثلاث وثلاثين سنة سنة . فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز – شهور الفرس كلها ثلاثون يوما وأولها فرودرى وأول يوم منه النيروز –

النسىء :

وكانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا تسميه النسيء – وهو التأخير – وقد ذم الله عز وجل فعلهم بقوله : ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ** ﴾[1].

كان العرب يؤجلون حرمة بعض الشهور إلى الشهر الذى يليه فلو جاء شهر رجب وكان هناك قتال مع بعضهم البعض ورغبوا فى استمرار القتال دون توقف بسبب هذا الشهر الحرام فيؤجلون الشهر إلى ما بعده فيعيشون فى شهر جمادى الآخر مرتين ويأتى شعبان الحقيقى فيسمونه رجب وبذلك تتغير الشهور عن زمانها الحقيقى ولا يبقى رجب هو رجب ولا شعبان هو شعبان .

وكان العرب يحرمون الحرب فى المحرم فإذا احتاجوا إلى ذلك حرموا صفرا بدله وقاتلوا فى المحرم فقد كانوا أصحاب حروب وغارات فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها وقالوا :

– لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن .

فكانوا إذا صدروا – فرغوا – من منى – من الحج – يقوم من بنى كنانة

---

(١) التوبة : ٣٧ .

ثم من بنى فقيم منهم رجل يقال له القلمس - الناسىء ع فيصعد على موضع الخطابة ويقول :

- أنا الذى لا أغاب ولا أخاب أنا الذى لا يرد لى قضاء .

فيقولون :

- صدقت ... أنسئنا شهرا - أخر عنا حرمة المحرم واجعلها فى صفر - فيحل لهم المحرم . فكانوا كذلك شهرا فشهرا حتى استدار التحريم على السنة كلها .

لقد كانت بدعة النسىء مقررة وكان يتولاها بيوت معروفة من العرب يتوارثونها وكانت لها من الأهمية والمكانة ما توجب الفخر والاعتزاز بها وكانت تقليدا متبعا يعلن للناس فى موسم الحج من كل عام .

وبعث رسول الله - ﷺ - رهطا وبعث عليهم عبيدة بن الحارث فلما ذهب لينطلق بكى صبابة إلى رسول الله - ﷺ - فلما صلى أبو القاسم - ﷺ - العشاء الأخيرة قال لابن عمته عبد الله بن جحش :

- « واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجها » .

فلما تنفس الصبح وافاه عبد الله بن جحش ومعه قوسه ودرقته وعندما انصرف رسول الله - ﷺ - من صلاة الصبح وجده واقفا عند بابه . فدعا رسول الله - ﷺ - أبى بن كعب الأنصارى فدخل عليه فأمره فكتب كتابا ثم دعا عبد الله بن جحش فدفع إليه الكتاب وقال له :

- « قد استعملتك على هؤلاء النفر - كانوا ثمانية رجال من المهاجرين : وهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وسهيل بن بيضاء الفهرى وسعد بن أبى وقاص وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله التميمى وخالد بن بكير الليثى - ».

وسمى رسول الله - ﷺ - عبد الله بن جحش أمير المؤمنين فهو أول من تسمى فى الإسلام بأمير المؤمنين وأمر رسول الله - ﷺ - عبد الله بن جحش أن لا ينظر فى ذلك الكتاب حتى يسير يومين وقد عقد له - ﷺ - راية فكانت أول راية عقدت فى الإسلام راية عبد الله بن جحش .

وكان أولئك النفر ثمانية يعتقب كل اثنين منهم بعيرا فكان سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان يعتقبان بعيرا .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فإذا فيه :

– « **سر بسم الله وبركاته ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك وامض لأمرى حتى تأتى بطن نخلة بين مكة والطائف فترصد عير قريش وتعلم لنا أخبارهم** » .

فلما قرأ عبد الله بن جحش كتاب رسول الله – ﷺ – قال :

– سمعا وطاعة .

ثم أعلم عبد الله بن جحش أصحابه وقال :

– من كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض إلى أمر رسول الله – ﷺ –.

فقالوا :

– نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله تعالى .

فمضوا لم يتخلف منهم أحد حتى كانوا ببحران – موضع – أضل سعد ابن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرهما فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله بن جحش ومن معه حتى نزل بنخلة فمرت عير لقريش تحمل زبيبا وأدما – جلودا – من الطائف وأمتعة للتجارة وفى تلك العير : عمرو بن الحضرمى وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ونزلوا قريبا من عبد الله بن جحش وأصحابه وتخوف منهم فتشاور أصحاب عبد الله بن جحش وقالوا :

– نحن فى آخر يوم من رجب الشهر الحرام فإن نحن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم .

فقال عبد الله بن جحش :

– إن القوم قد فزعوا منكم فأحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فإذا رأوه محلوقا آمنوا وقالوا : عمار لا بأس .

فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم أشرف على المشركين فلما رأوه رأسه محلوقا قالوا :

– عمار – أى هؤلاء قوم معتمرون لا بأس عليكم منهم –

وقيل إن ذلك اليوم كان أول يوم من رجب وأصحاب عبد الله بن جحش يظنون أنه من جمادى الآخرة فترددوا فى الأقدام .. ثم شجعوا أنفسهم على المشركين ثم أجمع رأيهم على قتل من لم يقدروا على أسره وأخذ ما معهم فرمى

واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله فكان أول قتيل قتله المسلمون وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى والحكم بن كيسان مولى بنى المغيرة وأفلت نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى .

وقدم عبد الله بن جحش بالعير واسيرين – كانا أول أسير أسره المسلمون – وأول غنيمة غنمها المسلمون .

واختلف المسلمون فى ذلك اليوم فمن قائل :

– هذه غرة من عدوكم وغنم رزقتموه ولا ندى أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا ؟ .

وقال قائل منهم :

– لا نعلم اليوم إلا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمع اشتملتم عليه .

ولما قدم أصحاب عبد الله بن جحش مدينة رسولالله – ﷺ – وعلم الخبر قال :

– « **ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام** » .

وأبى نبى الرحمة – ﷺ – أن يستلم العير والأسيرين ..

ووجدتها قريش نهزة – فرصة – فقالت :

– قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام سفكوا فيه الدماء وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال .

وصارت قريش تعير بذلك من بمكة من المسلمين يقولون لهم :

– يامعشر الصباة قد استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه .

وزادوا فى التشنيع والتعيير .

وتفاءلت اليهود وقالوا :

– واقد وقدت الحرب وعمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب .

وضاق الأمر على عبد الله بن جحش وأصحابه وأسقط فى أيديهم وندموا وعنفهم إخوانهم من المسلمين ..

فأنزل الغفور الرحيم : ﴿ **يَسْأَلُونك عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قل قتال فيه كَبِيرٌ**

وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[1].

لقد حسم العلى القدير القضية من فوق سبع سمٰوات .. إن القتال فى الشهر الحرام حرام كما كان وأن الذى يستحلون من المؤمنين هو أكبر من ذلك من صدهم عن سبيل الله حين يسجنونهم ويعذبونهم ويحبسونهم أن يهاجروا إلى رسول الله – ﷺ – وكفرهم بالله وصدهم المسلمين عن المسجد الحرام فى الحج والعمرة والصلاة فيه وإخراجهم أهل المسجد الحرام وهم سكانه من المسلمين وفتنتهم إياهم عن الدين ، أى الشرك الذى هم عليه أعظم عقوبة عند الله من القتال فى الشهر الحرام .

فتسلم رسول الله – ﷺ – العير والأسيرين وطمع عبد الله بن جحش وأصحابه فى حصول الأجر وسألوا رسول الله – ﷺ – عن ذلك فأنزل الله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾**[2].

وقسم رسول الله – ﷺ – العير وخمسه أى جعل خمسه لله وأربعة أخماسه لأصحاب عبد الله بن جحش .. وقيل إن عبد الله بن جحش هو الذى خمسها وقال لأصحابه :

– إن لرسول الله – ﷺ – فيما غنمنا الخمس .

فأخرج خمس العير لرسول الله – ﷺ – أى عزلها له – وقسم سائرها بين أصحابه . فكانت أول غنيمة خمست فى الإسلام وكان عبد الله بن جحش أول من سن الخمس من الغنيمة للنبى عليه الصلاة والسلام من قبل أن يفرض الله الخمس وأنزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس : **﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾**[3].

وقال عبد الله بن جحش :

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة ... أعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد

---

(1) البقرة : ٢١٧ . (2) البقرة : ٢١٨ .
(3) الأنفال : ٤١ .

وإخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فإنـا وإن عيرتمونـا بقتلـه وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غل من القد عانـد

وبعثت قريش إلى رسول الله - ﷺ - فى فداء عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان .

فقال أبو القاسم - ﷺ -: .

- **« لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا - يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان - فإنا نخشاكم عليهما فإن قتلتموهما نقتل صاحبيكم »** .

فإن سعدا وعتبة بن غزوان لم يحضرا الواقعة بسبب بحثهما والتماسهما بعيرهما وقد مكثا أياما فى طلبه فوقعا فى أيدى المشركين ..

وقدم سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان مدينة رسول الله - ﷺ - فأفدى النبى عليه الصلاة والسلام الأسيرين كل واحد بأربعين أوقية فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله - ﷺ - حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا -

وأما عثمان بن عبد الله بن المغيرة إنطلق إلى مكة .. ومات كافرا .

المراجع

القرآن الكريم	
تفسير القرآن الكريم	ابن كثير
الجامع لأحكام القرآن	القرطبى
فى ظلال القرآن	سيد قطب
التفسير القرآنى للقرآن	عبد الكريم الخطيب
صحيح البخارى	
صحيح مسلم	
الجامع الصحيح	الترمذى
سنن ابن ماجه	
سنن أبى داود	
سنن النسائى	السيوطى
الترغيب والترهيب	المنذرى
التذكرة	القرطبى
مروج الذهب	المسعودى
الموطأ	مالك بن أنس
فتح البارى	ابن حجر العسقلانى
فقه السنة	السيد سابق
كنز العمال	الهندى
الكامل فى التاريخ	ابن الأثير
النهاية فى الفتن والملاحم	ابن كثير
رجال ذكرهم القرآن	عبد العزيز الشناوى
الروح	ابن القيم
الخمر والمسكرات	ابن تيمية

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٣/٥٣٧٧

الترقيم الدولى ٨ - ٢٤ -٥٣٨٧-٩٧٧